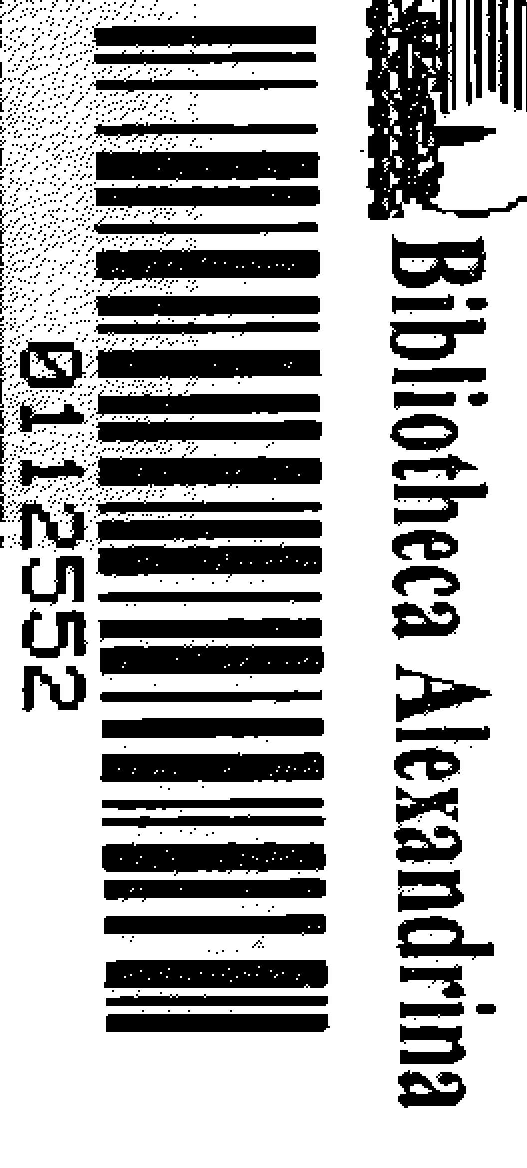
أحمد عزت سليم

قراءة المعانى فى بحر التحولات







مركز الحضارة العربية

قراءة المعانى فى بحر التحولات

دراسة فى الأدب الشعبى

أحمد عزت سليم

لوحة الغـلاف للفنان : **محمد الطلاوى**

الطبعة العربية الأولى : يوليو ١٩٩٨

رقم الإيداع : ٩٨/١٠٣٥٣

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-112-4



السلسلة الأدبية

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : محمد الغليونى

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

أحمد عزت سليم

قراءة المعانى فى بحر التحولات

دراسة فى الأدب الشعبى



الإهداء

إلــــى أمى ...

حضـرة الحنـــان

وجنـــة الوقت ..،

منزلـة الصـــبر

وســيدة الحال ..

فى بحر الحماية

عظمة الإنسان تتمثل دائماً فى سعيه الحثيث نحو التطور والتقدم وتوسيع دائرة معارفه وتعميقها والوصول بها إلى أعلى عليين وإن أمكن إلى مابعدها، لذا فالإنسان دائماً يمجد قيم القوة والتضحية والفداء والكرامة فينخرط راضياً، طائعاً فى أعمال البطولة ويقف ضد المهادنة والتخاذل والخوف ليثبت قدراته على البقاء والمقاومة والتجدد والحضور، ويطلق حركته فى العطاء والتجدد ضد الانحطاط والتردى والغياب، وهو فى ذلك يسعى إلى التغلب على القهر والموت والظلام، وذلك منذ خروجه من كهوفه الحجرية حتى ارتاد الفضاء وأخذ يحصى مئات المليارات من النجوم والمجرات ليعرف أيهما يسلك ويسكن فى مستقبل يحاول أن يحصل عليه ويمتلكه قبل أن يصل إليه!! .

وهذه التجربة المتجددة ذات التطلع المستمر هى «بحر الحماية» للإنسان ضد الطاعة والخضوع والمهادنة والاستسلام للقوى التى تمتهن كرامته وشخصيته وتكرهه على اتخاذ سلوك العجز فى مواجهة المشاكل وكبح حركته فى الواقع المتطور وتعميق جروحه الفردية وعزله وتشكيل مجتمع من المجروحين والمنعزلين، يؤمنون بالظلام، وتتحكم فيه قوى غيبية تستلب

الإنسان من إرادته وتربطه بإرادة ظالميه الذين يستمتعون بظلمهم فى الحياة، وفى أخريات أيامهم يتوبون فيستمتعون بالنعيم بعد الموت !! ويكون لهم النعيم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة !

الشخصية العربية التى اغتنت بالجهاد والنبوة وبالمجتمعات التى ضمتها الحضارة الإسلامية، انزلقت فى حالتها الراهنة وتعطلت عن النهوض بدورها الحضارى وارتهن تطور الإنسان ومستقبله داخل المجتمع بمقدرته فى القضاء على مايكبح حركته وعلى مايأخذه فى مذلة الخضوع ومظلة الاستسلام .

وأصبح الخروج من الحاضر خروجاً أقرب إلى الماضى منه إلى المستقبل،

والبنى التى تتحكم فى أنماط السلوك، وتلك التى تتحكم فى المجتمع ومؤسساته بنى ملتبسة ومختلطة ومهترئة ومتضاربة وقوة مايطفو منها على السطح تكاد تفوق مايعتمل فى العمق - لجمود أصابه فتوقف أمله - حتى أضحت الشخصية الراهنة مفضوحة فى انفراغها وفشلها وعجزها وخضوعها واستسلامها وترددها، وأصبح كل ذلك هو الأكثر إباحة فى المجتمع والأكثر إشاعة فيه ووصل حد التراجع إلى أن أصبح الغياب وهو نقيض العلم والمعرفة والحقيقة وهتك حجاب السر والحرف، هو الذى ينبنى عليه الوجود والحاضر، حتى وصلنا إلى نصوص أدبية يدعى أصحابها أنها حداثية مستقبلية كونية وأنها تحجب وتضمر وتخفى وتستر، ولذا فالنص الحداثى يوارب ويخادع ويماوه...

وهذا - فى خلاصته - ماأصاب المجتمع من قوى تستر وتتخفى

أعمـالها تفـضحـها فـتخادع وتـماوه.. تارة بالديـن وتارة بمصالح الفـقراء والشعب، وبين الظاهر والخفى ، قوى تنهش المجتـمع وتسلبه وعيه وتسلحه باللامبالاة، وتحوله إلى مـجتمع تابع غير مبتكر، وقابع فى غـياهب جروحه تتحكم فـيه ديكتاتورية طبـقة الأغنياء والأقـوياء تلك التى ينجذب حـولها الأفراد والمؤسـسات، أما الشـعب فقد ترك ممتلكاتـه لهذه الطبقـة وسلم لها نفسه دونما حس ولاخبر !!

وفى مـحاولتنا هذه سنحـاول أن نرصد بعض التـحولات التى أصـابت حياتنا الشـعبية، وموروثاتها التـى تبث فيها روح المقاومة والمجـابهة والمبادأة وتخلق بحر التطلع والحماية ضد الانجراح والاستسلام والموت، كنموذج لما أصـاب حيـاتنا من تغـيـر ومـافى ذلك من دلالات على مـكنونات الوعى ومظاهره من غنى فى الإبداع والعطاء والتطور أو تردى وخـفوت ونكوص فى روح المبادأة وجـوهر المبادرة، وأصبـحت هذه المكنونات هى التى تشكل السلوك الإنسانى وتؤثر فيـه بشكل عميق وتجعل منه نموذجاً لها ولفـاعليتها داخل المجتمـع وتطوره، وخاصة إذا نظرنا لها بمنظور شـامل لكافة المؤثرات العاملة فى المجتمع البشرى على أساس أنهـا تتخلق منه عبر تطوره السحيق وتؤثر فى مساراته نحو المستقبل .

وفى هذا الإطار سنقدم دراسة حـول السيرة الشعبية الحـجازية لعنتر بن شداد كنمـوذج يتطلع إلى كسر القـبول القائم لسلطة الظلـم، وكتعبـير عن نموذج أدبى يشجع قـيم الشجاعة والنضـال ويتغلب على تكرارية الشرعـية المؤسـسية وينحو نحـو الإبداع والمغايرة ، ثم دراسـة المولد البدوى كسـياق حياتى ضد الثقافة المعلنة وكسيـاق أدبى تتكسر فيه قيم بحر الحماية والتطلع

وتتحول من الإبداع والمجـابهة إلى تعزيز قيم الاتباع والانقهـار والاستسلام والتلذذ بممارسـة المحرمات ثم قـراءة فى التراجع بين هذه القيم من السيرة إلى المولد .

ومابين هاتين الدراستين من تحول شديد فى قيم الشجاعة والقوة والمبادأة والمجابهة إلى الاستسلام والانقهار والموت .

أحمد عزت سليم

سيرة فارس فرسان الحجاز
أبو الفوارس عنتر بن شداد
- بحر الحماية - نموذج
شعبى لكسر القبول القائم
بسلطة الظلم والتعبير عن
التطلع الشعبى للنموذج
الأدبى الذى يعزز قيم
الشجاعة والنضال .

فيض الطموح والقداسة

عنتر بن شداد أحد طموحات الذات العربية نحو مجابهة الواقع المتردى والأخذ بأسباب البطولة ومثلها وقيمها، وسيرته وملحمته هى أحدى الخطابات الأيديولوچية التى يبثها الخيال الشعبى فى الواقع لبناء المثل والتصورات والمفاهيم الأخلاقية والحياتية لبعث الضمير الأخلاقى وإشعال روح المقاومة من أجل القضاء على الظلم ومواجهته بلا هوادة، إلى الدرجة التى يتحول فيها هذا البطل الضرغام إلى نموذج تتضافر فيه طموحات أمة بأكملها، وهى الأمة العربية فى صراعها مع الآخرين - من أجل إثبات ذاتها وقوتها وتميزها وتفوقها، أفراداً وجماعات فى دلالة إشارية نادرة تكمن فى اتساع وشمول التفوق الممتد إلى أطراف الدنيا التى لايتركها عنتر على حالها إلا وقد حطهما وأخضعها وحرر المظلومين منها، وقضى على المتجبرين فيها فإذا هو يقلقل واقع البشر ويحطم الأساطير المعروفة بيلادهم، والوهم الذى يغرقون فيه، وسرعان مايبرز إلى الواقع الشعبى العزة والشهامة التى تبثها السيرة فى الذات والتى تطلقها من خفائها إلى عالمها الواسع الفريد المتنوع .

عنتر هو الليث الهمام والبطل الضرغام والأسد الريبال والفارسى المنتخب ودافع النواب وفارس الجلاد وحية بطن الوادى الضارب بالسيوف

الحداد، فارس الحرب والصدام، الأسد القسور أسود الشمائل وأبيض الخصائل، وفارس القبائل، البطل المغوار، الفارس الجواد، فصيح اللسان فى النثر والنظام، فارس الزمان، وقاهر الشجعان البطل الغشمشم والأسد الأدرع، الذكى الفؤاد، أمير البوادى مبيد الأعادى، الموت، البحر، فارس عبس وعدنان، ذو البأس والندى، قاهر الأبطال، الوثوب، رئيس الفرسان أبو الفوارس الهمام المهذب بدر الدولة الأمير عنتر بن شداد .

تنطلق السيرة من الإيمان بما هو مقدس «فالحمد لله الكريم المنان... وأشهد أن لاإله إلا الله.... وأن سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام... ثم الرضا عن أبى بكر أفضل الأصحاب، والإمام الذى أظهر الإسلام بالسيف الرضاب عمر بن الخطاب ثم الرضا عن الإمام عثمان المقتول ظلماً ثم الرضا عن ليث المواثب ومفرق الكتائب شجاع بنى غالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب....» ومن هذه القداسة تنبع السيرة وتتشكل منظومتها الدلالية الخاصة من إبداع العدل وإقرار الحق ونباهة الشجاعة وذكاء القوة وحسن الصحبة والصداقة، ومشروعية الأحداث وإضفاء القداسة عليها حتى تفيض بالمعانى وتفجر الارتباط بالمقدس حتى مدح عنتر - كما يقول الراوى - النبى المكى فى قصائد قبل ظهوره عليه الصلاة والسلام :

أنا عبد عبس المسمى، رجال الحرب تعرف لى مقامى
فيارباه أن تظهر محمد رسول الله مصباح السلام
وتنشر ذكره فى الأرض جمعاً وتحمى حرمة البيت الحرام.

وتقر السيرة هذا الارتباط ويتخذ بعداً عميقاً ليصل مداه إلى التاريخ الموغل فى القدم حتى أيام نوح وأولاد سام وحام، وسيدنا إبراهيم وصراعه مع النمرود ومقاومته الشديدة لجبروت هذا الكافر الجحود والكافر المفتون.

ويتدرج الصراع حتى يرث عنتر بن شداد هذا الدور فى القضاء على الجبابرة، وتمتد البطولة من أجداده الأول حتى تصل إليه، وكما تقول السيرة فقد خلقه الملك الجبار وجعله نقمة على جبابرة العرب حتى مهد الأرض قدام النبى المنتخب سيد العجم والعرب صلى الله عليه وسلم، لأنه كان فى زمان الفطرة وأوان المشيئة فدمر الأقيال وأهلك الأبطال من فرسان الجاهلية حتى طلعت فى إثره الشمس المضيئة شمس سيدنا محمد خير البرية .

لعنتر - وحتى أولاده - ضرورة مقدسة لحماية البيت الحرام وتمهيد الأرض أمام خير الأنبياء، ولعنتر وجود مقدس كوجوده الواقعى ومن تلك الضرورة وهذا الوجود تنشأ حركة السيرة، الضرورة هى ماهية السيرة والوجود هو الدلالة، والارتباط بين الماهية والدلالة هو الذى يفجر أحداث السيرة، ويطلقها فى الذات الشعبية دفقة واحدة لاانفصال فيها ولاوهن يصيب بنيانها أو يعترى أحداثها، الماهية تفصح عن نفسها سلفاً وقبلاً ولاتعبر عن جوهرها إلا من خلال وجودها عبر ديمومتها الوقائعية منذ الأزل وحتى امتدادها فى مستقبل هو قارئ السيرة وسامعها وهى تخلق من هذا الوجود الديمومى عمقها واتساع فيضها حتى تصير السيرة ينبوعاً للوجدان الدينى والأخلاقى والقيم والمثل العليا، وكما يقول عنترة :

«لاينال العلا إلا من ليس عنده حق ولاظلم ولااعتداء... فإن الظلم عاقبته الندم ولاتؤمن عواقبه بين الأمم، ... ولاينال العلا فى الناس من حقد...». ثم هى مثال للعرفان ورد الجميل والمروءة وإغاثة الملهوف والدفاع عن الحق ضد الجور وحماية المظلوم، ويقول عنتر: فما بقى عليكم خوف ولابأس ولكم الأمان من جميع الناس، فأنا أسير معكم إلى قرب دياركم لأجل ماأكلت من زادكم، ولقلة ناصركم ومعينكم». □

كسر القبول القائم بسلطة الظلم

خطاب السيرة يتمركز حول كسر القبول القائم بسلطة الظلم، والسعى إلى كيفية التحرر من هذه السلطة ، من أجل أن يمتلك العبد المقهور والإنسان المظلوم، حقه فى الاختيار فى الحياة والعمل، والحب والجنس، والحصول على حقه فى الدفاع عن اختياره هذا، وتحمل مسئولية ذاته وفعله وماسعى إليه... فالحضور الكلى للوجود المقدس هو ثورة العبد الأسود عنتر على الأوضاع فى شمولها الاقتصادى والاجتماعى والنفسى، وتلك القائمة على تقسيم المجتمع بين سادة يمتلكون كل شئ حتى الشرف، وبين عبيد خاضعين للقهر والمذلة يعاملون كأشياء يتصرف فيها السيد كيفما شاء.. يقول عنتر منشداً:

موت الفتى فى عزه خير له   أن يبيت أسير طرف أكحل

إن كنت فى عدد العبيد فهمتى   لابالقرابة والعزيز الأمثل

وخطاب الاختيار بين المقاومة والموت أوالطاعة والحياة هو سيرورة الوجود المقدس للعنتر، وهذه تختار العلو من الموت إلى الأبدية إذا كان الموت فى ذاته سيكون إشارة للقهر والظلم: وينشد عنتر فى هذا المعنى :

فلو مثلوا لى صورة الموت بينهم خضبت يدى من دمها وجرحها

ولى صارم لو أن ضربت بحده صروف الليالى بان شين قلاعها

ومن هذا الاختيار والعلو. ومن هذا الحضور الكلى والسيرورة تنشأ دراما الصراع ويحرك عنتر البيئة فى وجودها الأخلاقى والعسكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى. فلعنتر وجود فعال ممتد من مضارب قبيلة بنى عبس تلك القبيلة التى سيظهر منها نبى آخر الزمان محمد بن عبد المطلب - كما تقول السيرة - حتى عروش فارس والروم والإفرنج وسائر ملوك العرب من سواحل اليمن حتى بلاد حام، ويقول الملك خدواند الفارسى وهو مكروب : «وحق النارلقدانخرق ناموس الدولة الكسراوية وذلت الفرسان الديلمية لأن أهل الشرق والغرب لايقدرون على أن يفعلوا مثل فعل عنتر بن شداد فى الحرب والجلاد» .

صور الجمال الدالة يفجرها الوجود الواعى والفعال لعنتر... دفاعه عن الفقراء والعبيد وإفاضته عليهم بمكاسبه وصيانة حرمة النساء وإغاثة الملهوف وإهابة المستجير ونصرة المظلوم بما يشكل مذاقاً خاصاً للسيرة وغناها الجمالى والدلالى والفنى.. ولنذكر هنا مثالاً لهذا الجمال فى أحد المواقف التى يواجهها عنتر، فعندما يتعرض له روضة بن منيع وهو فى طريقه لخطبة عبلة بنت مالك طامعاً فى أن يبارز جميع بنى عبس ويملك جمالها ويحتويها... وكان لروضة هذا «خمسة أخوات بنات مخدرات مخبئات وهن كالنجوم الزاهرات والظباء النافرات» وقد أخذهن معه وهو فى هذا الطريق ... حتى قابله عنتر... فلما بقى صار قدام عنتر وهو لايخاف ولايذعر، أقدم إليه وبقى بين يديه، فرأى الشجاعة لائحة بين عينيه

والفروسية تشهد له لاعليه. هذا وروضة قال لعنتر: أيها الفارس والقرم المداعس من تكون من فرسان عدنان، والنجابة تشهد لك لاعليك. فقال له عنتر لما سمع كلامه: ياويلك ماأعمى بصيرتك بين الفرسان، وما أقل خبرتك بمعرفة الشجعان واعلم أنى أنا الطويل النجاد، أنا صاحب الثبات والإقدام، أنا صاحب الحرب يوم الطراد، أنا حية بطن الواد، أنا حامية عبس الأجواد، أنا الأمير عنتر بن شداد ابن عم تلك العروس التى جئت من أرضك تطلبها وتريد أن تخطبها» .

اللغة تنساب فى سلاسة بلا تقطع لاتمنعها المحسنات البديعية من الوصول إلى الجمال الواعى المفجر للدلالة والحدث فعلاقة التناقض بين المخدرات المخبئات وبين الزاهرات النافرات، والعلاقة بين البنات والنجوم والظباء، ، والعلاقات البديعية بين المفردات المسجوعة فى الجملة... هى فى مجموعها علاقات مركبة تخلق الدراما من حضورها العقلى والجسدى المحسوس بين المشبه والمشبه به من ناحية وبين المدلول والدال من ناحية أخرى، وهذه الدراما وهذا التناقض ، هما اللذان يخلقان توتراً على مستوى الحدث ثم يتصاعدان على مستوى الحوار فيخلقا نوعاً من الترقب على صعيد القارئ والسامع الذى يدخل بدوره جسداً وعقلاً وقلباً فى مراقبة الحدث وتنامى الفعل وتشكله ومعايشته والمشاركة فيه بالتعاطف والتمنى والتطلع. وإذا بروضة يصطدم بعنتر، وينتصر عنتر عليه ويأسره فتنطلق المخدرات المخبئات ليطلقن سراحه، وتتفجر اللغة شعراً ونثراً لتخلق بقوة الحدث، ويصول روضة ويجول ويفعل كما يفعل الشجعان إذا التقت مع الأقران وينشد :

لما درى بى زمـانى لان جـانبـه ... وذلت وانصرفت عنـى نوائبـه

ومن يعـاندنى عـميت مفـارقـه ... بمرهف الحـد لاتنبو مضاربـه

أنا الذى سجـدت سمـر الرمـاح ... له وسابقـتنى إلـى جيش أحاربـه

أنا الهـمام الذى عـاشت فعـائلـه ... كم جحـفـل فرقت منى مـواكبـه

وكم قتيل تركت الطيـر عاكفـة ... عـلى دعـاه ووحش البـر طالبـه

ياعبـلة عبدك قـد حانت منيتـه ... عـلى يدى وقـد قـامـت نوادبه

ياعبلة مـجدك عال فابشـرى بفتى ... يفنـى الزمـان ولاتفنـى مناقـبـه

فليهـن قلب أبيـك اليوم ياأملـى ... ويرقد الليـل مـاسـارت كواكبـه

ياطامـعاً فى هلاكى عـد بلا طمع ... ولاترد كـأس حـتـف أنت شـاربه

الشـاعر المقـاتل روضـه يحمـل همه الخـاص ويتطلع إلى بلوغ الآمـال والانتـصار على عنتر وامتـلاك عبلـة، وقد مـزجت اللغة بالروح والعـزيمة والشعور بالقوة وامتلأت الأنا بالفورة وامـتزجت بالفخر والعزة وتضخمت بالعظمة والتفوق، لكنها أبانت - رغم ضخامة الألفاظ - الخفى الكامن فى شخصـية روضة الذى يعتـرى ذاته ونفسه وتشكل حـساسيته الـشديدة تجاه الآخر ويتضح ذلك من عبارات الأنا داخل النص السابق :

١- من يعاندنى ....

٢- أنا الذى سجدت .... له

٣- أنا الهمام الذى ...

٤- كم قتيل تركت ...

٥- ...... يفنى ..... ولا تفنى مناقبه

٦- .... منيته على يدى ....

فالخطاب إرادة وعزيمة من أجل إظهار قوة الذات وهى بتحـديها المعلن من أجل تحقيق أمـالها تتداخل تداخلاً دراميـاً وجمالياً مع الصـورة الشعرية المكملة لهـا فإذا بهـا تتراصف وتتـسلسل من بيت إلى آخر ثم تتـراكم على مستوى النص لتـشكل صيرورة جمالية فاعلة من الأنا ومـشتبكة مع الآخر، مثيـرة ومستثارة فـما تكاد الأنا تنهى تراكمهـا المتدفق حتى يصدمـها الآخر شعراً وقتالاً وهذه الصور الشعرية المكملة :

١ - .... عميت مفارقه بمرهف الحد لاتنبو مضاربه .

٢ - .... سحر الرماح له، وسابقتنى إلى جيش أحاربه .

٣ - .... عاشت فعائله .....

٤ - الطير عاكفة على دعاه ووحش البر طالبه .

٥ - ياعبلة مجدك عال فابشرى .... يفنى الزمان ....

٦ - ياعبلة قد حانت .... وقد قامت نوادبه .

الصورة الشعرية تنخلق مما هو إرادى ذاتى مقصود لروضة، وينطلق منها مدى واسع للتخيل والتصور والجمال لتتجاوز الزمان والمكان فى تحولها من خطاب الأنا/ الذات إلى ماهو شعر وجوهر وإلى ماهو باق... يفنى الزمان ولاتفنى مناقبه...، ويرقـد الليل ماسارت مواكبه. الجـمال الدرامى ينشأ ممـا يعتـرى الحركـة الداخليـة من صـراع وتضاد بـين الشىء الأزلى/ الكلى/ اللامدرك وبين الفعل الآنى/ الجزئ/ المـدرك، بين «الزمان» وهو مدة الدنيا كلها غيرالممسوك بها وبين الفعل الكريم «المناقب»، حيث يتغلب هذا الجزء الآنى المدرك على الأزلى/ الكلى/ اللامدرك/ فيفنى الزمان ولاتفنى مناقبه وهكذا يتفجر المعنى الآنى ويتحول إلى الأزل والكل واللامدرك .

وفى الجملة الثانية الصراع بين حركة الكل اللامحدد «الليل» الذى ينخضع ويرقد ويتأخر وينام خضوعاً لإحدى علاماته المحددة وهى «كواكبه» فى مسيرها داخل لا نهائيته .

الصراع هنا بين الحركة والسكون، بين التقهقر والتأخر، وبين الموت والحياة ، والانتهاء والتجدد ، بين الاستسلام والمقاومة.. بين يرقد وسار، وبين يفنى ولايفنى .

هكذا تصبح كواكب أبى عبلة (جماعته وناسُه) تتحكم فى المصير اللامحدد، كما تتحكم فى الآتى، وتصير عبلة ذات مجد عال يتحكم فى اللامدرك وفى الزمان وفى المكان بعد أن تتزوج من هذا الفتى ذى المناقب المتسعة باتساع الزمان غير المدرك وبالمكان غير المحدود .

الجمال الذى تضيفه كلمة كواكبه ببعدها الكونى بمعنى كواكب،وببعدها الحياتى (جماعة من الناس) يخلق تأثيره الجمالى ويخلق فى الأبيات توتراً دلالياً يقودنا إلى هذه الدراما الجمالية.

ومن هذه الدراما تتحرك الأبيات فى فاعلية وقوة إلى الآخر عنتر..

قال الراوى: فلما سمع عنتر مقاله وخطابه ونظر دلاله وإعجابه ، قال له: قاتلك الله وقتلك ، ما أجهلك وما أشد أملك، فلعن الله بطناً حملك، وكلباً نسلك .. ثم إنه صار ينظر إليه وقد قامت فى رأسه مقل عينيه، وصار فى هذه العجائب وما لاقى من أجل عبلة يتفكر من المصائب فأشار إلى روضة وأجابه على شعره، يقول :

كم يبعد الحظ من أرجو أقاربه ويبعث الدهر شيطاناً أحاربه

فياله من زمان كلما انصرفت صروفه فتكت فينا نوائبه

جربته وأنا غر فهذبني والدهر أهون ماعندى نوائبه

كم ليلة بت فيها فى البيداء منفرداً والليل للغرب مالت كواكبه

سيفى أنيسى ورمحى كلما نهمت سد الدحال له قد مال جانبه

وكم غدير تركت الماء فيه دما عند الصباح وراح الوحش طالبه

اطامعاً فى هلاكى عد بلا طمع لاتدن من كأس حتف أنت شاربه

الحركة داخل النص النثرى سلسلة ممتدة إلى داخل النص الشعرى حيث تتلاحم عناصر الفعل وتتلاحق من شعر روضة إلى نثر عنتر إلى تعليق الراوى إلى شعر عنتر فيتحول النص أمامنا إلى إيقاع مجسم بالصورة والصوت والحركة ....

الحيوية فى السيرة الشعبية هى إيقاع مكتمل متدفق من الحركة والصوت والصورة الشعرية، والانتقال من نص نثرى إلى نص شعرى فى سهولة ويسر إلى المتلقى، ومن خلال هذه الحيوية يخلق التلاحم مع المتلقى ويقدم واقع جمالى ممتد من السيرة إلى الواقع المقابل لها :

ينطلق عنتر فى الجزء النثرى السابق من الرد المعبر عن الخبرة بمعرفة قلة الخبرة لدى روضة وعدم درايته بنوائب الزمن، وهو على مافيه من هجاء فإن سلاسته تأخذك وقافيته تأسرك ومضمونه يحملك إلى وصف الغضب الذى وصف به الراوى عنتر ووسمه به لينال تعاطفاً مبدئياً مع روايته إلا أن عنتر يرتقى بحساسيته الفائقة فوق الزهو الذى لازم روضة ويتفوق عليه وعلى

خياله الجامح، وعلى الواقع وبعيداً عن أوصاف الراوى له لحظة غضبه ليستخلص من آلامه ومصابه مايعلو به فوق قيود الحياة ويقدم إيقاعاً للذات الإنسانية المعذبة التى ماتوقفت مصائب الحياة المتلاحقة تعاركها وتطحنها.

وكما يقول رولان بارت : إن كل إنسان حبيس فى لغته ، وإن الكلمة الأولى التى ينطقها تضعه فى مكانه من الكل، وتشير إلى تاريخه الكلى الشخصى. وإن الإنسان عندما يوضع فى اختيار حياتى فإن إطاره الحقيقى يفشى سر كذباته إذا كان مدعياً الإنسانية والذاتية أم من أصحاب الكرم والشهامة.

«فالبداية الشعرية لعنتر بـ كم» التى تجمع بين كم الاستفهامية والخبرية فى صياغة واحدة، تفيد هذا العدد المجهول جنساً ومقداراً للانهائى من الأمور التى تعانده وتمنعه من لقاء الحبيبة والأقارب الذين يود عنتر لقاءهم وهذه الصياغة تكتمل بالصياغة المضارعة فى «يبعد ويبعث» لتفيد الاستمرارية فى التعرض الديمومى للنوائب وهذا يضع عنتر بالتالى كما قال رولان بارت فى مكانه من الحياة كشخصية صلبة مقاومة وحية حتى لحظة الصراع مع روضة ليخبره أنه دائم الحياة وضامن لها رغم كل النوائب التى يتعرض لها حتى صارت هذه النوائب شيئاً عادياً وجزءاً من الممارسة اليومية لها، وهذا كله من الردع المصاحب لقوة وشجاعة عنتر وليعرف خصمه أى قوة هو مقبل على مواجهتها.. إنه مقبل على الموت لامحالة !!

تنكشف أبيات روضة وتنكشف حقيقته النفسية والاجتماعية وتاريخه الكلى الشخصى الذى انصرف الزمان عنه بنوائبه ولانت له جوانبه ولم يسمع غير المدح والثناء ولم يفعل غير الخير كله لأهله... يعيش وسط

أخواته البنات الخمس وامتزجت نعومة العيش ورحمة الأم وبناتها بقوة تربية الأعمام له وبوفرة أموالهم وغناه فكان يفيض بما يكسبه فى الغزوات على أهله بل يزيد إليهم من حاله ، وعندما رأى شيبوب أخا عنتر قادماً نحوه قال لعبده : .... استخبره إن كانت أصحابه من فقراء العرب فدعهم يدنون حتى أنعم عليهم وأخلع عليهم بعض الملبوس، وأزيل عنهم الفقر والبؤس وإن كانوا من أهل الشر فردهم وإلا حل بهم سوء المصرع...» .

ولهذه التربية والتنشئة يخيّر عنتر بين العودة دون قتال والنجاة بحياته أو الموت ... فيخاطبه :

ياطامعاً فى هلاكى عد بلا طمع...

ومن شعر عنتر تنبع إدراكاته الفائقة للحظة التى تتجلى فيها اللغة لتعبر عن الذات الفياضة المتوافقة مع مظاهر شخصيتها الصلبة التى تحارب الزمن ونوائبه، ويدرك عنتر بخبرته الحالة النفسية للفتى،ويكون تفوقه الإبداعى الفنى والسيكولوچى والأخلاقى حيث يتصور الآخر مع الأنا فى معاناتها والمصائب التى حلت بها، ليشع إليه مايبعده عن الهلاك ويجنبه الدمار ويردعه عن ذلك رحمة به ، وذلك فى شكل رائع من التدرج الإسلوبى من الصيغة الكلية الشاملة واللانهائية غير المدركة إلى صيغة النحن الجماعية الواقعية ، إلى صيغة الأنا كمثال ظاهر وماثل وقائم :

يعث الدهر ← وياله من زمان فتكت فينا نوائبه ← جربته وأنا...

التضاد بين الخيال الجامح لشعر روضة وبين التعامل الواقعى مع الزمن والدهر فى شعر عنتر هو الذى يشعل دراما الحدث من مكامنه، بين ماهو

فنى فى شعر روضة وماهو واقعى فى شعر عنتر... الصراع بين ماهو خيالى وبين ماهو واقعى... بين طبيعة الحـال... بين المكانة فى الكل على حد تعبير رولان بارت، والفرق بين «لاترد» فى البـيت الأخير لروضة وبين «لاتدن» فى البيت الأخـير لعنتر فرق شـاسع وبيِّن فى المكانة والخبرة والقـوة فلا ترد تعنى: لاتحضـر إلى ، ولاتدن تعنى: لاتقترب من. هو فرق بين الحضور إلى الموت ، وفيه جملـة مـن الاختـيار بين الدخول إليه أو الرجوع عنه، وبين الاقتراب منه والوقوع فـيـه لحظة إذ، وهذا الفرق الدلالى الإبداعى اللغوى هو الذى يحـرك الحـدث ويشـعله ويخلق الدراما الملحـمية الشـعـرية فى السيرة،- وهذا نموذج لـها - روضة يترك لعنتر الخيار، أما عنتر فـهو تحذير واضح وحاسم والموت حالاً إن اقترب، ولذا مـا يكاد عنتر ينتهى من كلامه حتى تفور النخوة وتشتعل فى الفتـى روضة ويصدم عنتر ويطلبه مثل الأسد الهمام...... هكذا تتحول اللغة إلى إشارة فنية محركة تنفذ إلى ذات الآخر المستعلية فتدفعه إلى الحركة وإلى صيرورة الحدث .

من هذا الإدراك والخـبـرة والتمـكن والتحـكم والسيـطرة على النوائب والدهر لم يشأ عنتر أن يقـتل مثل هذا الفتى فلطمه على صدره بيـده، فرماه على وجه الأرض» وسـرعان ماكـتفه شـيـبـوب، وإذا بأمه وأخوته قـد رموا أنفـسـهم من الهـوادج وإلى الأرض صـرن يمرغن خـدودهن على الحـصى والرمال وكشفن الرؤوس ورمين البراقع عـن وجوه مثل البدر، وأقبلن على عنتر وأجـرين الدموع وصاحـوا يا فارس الزمان ارحم بكـاءنا وقلة رجالنا، وإن أردت أن تقتل أخانا فاقتلنا معه ولاترنا فقده .

تكشف هذه المأساة وهذه المعاناة الإنسـانية والأنثوية عن وعى واقعى بما

هو خارج الذات وفى الواقع، وهذا الوعى يخلق الإبداع الشعرى الذى يتدفق من البنات الخمس أخوات روضة وأمهم فإذا الحركة تتجسد، والإيقاع النغمى والنفسى يتوحدان ويتشكلان فى فعل درامى حيث تتلاحق البنات الواحدة تلو الأخرى فى تدفق شعرى تدفعه غريزة البقاء والدفاع عن النفس والذات والجماعة :

ثم إن الأخت الواحدة تقدمت إلى عنتر وجعلت تقبل قدميه وأنشدت تقول هذه الأبيات :

يافارس الخيل حقاً ماذكروا سامح ... ففى قلبنا النيران تستعر
هذا الغلام الذى فى الأسر هو ... أخى من بعده ليس لى روح فتنفطر
أطلقه وسامح واكتسب كرماً منا ... فإنا إليك اليوم نعتبر
أنت الهمام وكل القوم خاضعة إلى ... علاك ونار الحرب تستعر
فارحمه وأطلقه يامولاى مكرمة فهو ... الرجا لنا والسمع والبصر

فعند ذلك تعجب عنتر من فصاحتها وإذ تقدمت أختها إليه وقبلت يديه وقدميه وأشارت تمدحه بهذه الأبيات .

يافارس الخيل دمعى فاض من بصرى ... فارحم لضعفى فإنى قل مصطبرى
أطلق فديك هذا الطفل وارث لنا ... فنحن نفديه بالأموال والدرر
إن كان لونك هذا أسودا فحما ... إن فعلك يحكى بهجة القمر
فجد على نسوة قد قل ناصرهم ... وليس أرجو سوى الرحمن منتصر
اللـه يعطيك ما نرجوه من أمل ... بحرمة البيت والأركان والحجر

ثم تقدمت الأخت الثالثة وقد زادت بها الحسرات وأشارت إلى عنتر تمدحه بهذه الأبيات :

يا فارس الخيل والأبطال فى السبق	والخيل تصهل والفرسان فى قلق
قد فقت فى المجد كل الخلق قاطبة	شذا ثنائك مثل العنبر العبق
فَحُزْ مديحى وجاوبنى بمكرمة وارحم	بنات حيارى صرن فى حرق
أطلق فديتك هذا الطفل وارث لنا	فإنه السمع وهو النور للحدق

ثم تقدمت الأخت الرابعة وهى كأنها الشمس الطالعة وتعلقت بركاب عنتر وأشارت إليه تقول:

ليس لى صبر ولا جلد	وبرانى الشوق والكمد
والجوى والشوق فى كبدى	فارحمونى قد وهى الكبد
لست أنسى يوم بان ولانار	قلبى حين تتقد
ياأخلائى خذوا بيدى	إننى قد خاننى الجلد
فاكحلوا طرفى رؤيته	فعسى أن يذهب الرمد
تلفت روحى لقد همو	ومضى ذو العيش والرغد
أيها الليث الذى خضعت	عنده الأبطال والخود
أنت ذو فضل وذو كرم	وبهذا النس قد شهدوا

(قال) ثم تقدمت الأخت الخامسة وكانت أصغرهن سناً وأوفرهن عقلاً وأجملهن وجهاً وأشارت إلى عنتر تقول :

يافارس الخيل سامح وارحم الغربا ... ورد عنا أموراً توجب الحربا
هذا الغلام الذى فى الأسر فهو أخى ... فارحم صباه ولاتشمت به العربا
إن كان قد جاء مغروراً ومعتدياً ... فإن حلمك يطفى الحقد والغضبا
أنت الهمام الذى جلت مناقبه ... وتملأ الأرض من خيراتها ذهبا
إن كان لونك هذا أسودا فلقد ... حزت الشجاعة والإحسان والأدبا
ولو تفاخرت أهل الأرض كلهموا ... كانوا جميعاً لك الأبناء وكنت أبا

(قال) ثم تقدمت العجوز أم البنات ودموعها جاريات إلى أن وصلت إلى عنتر وأشارت تنشد الأشعار وتقول :

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر ... فالق الهام بالهندية البتر
يامن إذا قلت فيه القول تشهد لى ... كل البرية من عرب ومن حضر
إن كنت تطلب ياMولاى قتلته ... فارحم لذلى فإنى زاد بى كبرى
حاشاك مفجعة فى فارس فخرت ... به البرية من سعد إلى مضر
ومالنا ناصر نرجوه يرحمنا ... لأننا حرم نابى من الضرر
وقد تفطر قلبى خيفة وغدا ... دمعى ليسيل على خدى كالمطر
اطلق فديتك شخصاً قل ناصره ... عند المضيق أيا سمعى ويابصرى
لازال سيفك من أعداك مغمده ... ونور سعدك فوق الشمس والقمر

قال : ولما فرغت العجوز من شعرها وسمع كلامها وماقالته البنات من ذلك الشعر والفصاحات وكيف أنهم مدحوه بهذه الأبيات ، استحى منهم

وكان شـديد الغيـرة على النساء فقـال لأخيـه شيبـوب : ويلك أطلقه فـقد أكـرمتـه لأجل أمـه وأخوته ثم إنه أمـر البنات بالاسـتـتار وأن يرجـعن إلى الهـوادج والجـمـال فـعند ذلك رجـعن إلى ورائهن وقـد فـرحن بخـلاص أخيهن.

الفعل الشعرى فى السيرة

يقدم الراوى فعلاً شعرياً يتضمن الشخصيات والحوار والبيئة التى يعتمل فيها الفعل والصورة والحركة التى تتجسم فى تدفق جذاب، هذه الحركة المنسجمة رد فعل على رؤية البنات الخمس وأمهم لأخيهم وهو يكاد أن يندق عنقه ويعدم. رد الفعل الشعرى والحركى يثير عند عنتر الفنان المبدع والإنسان القوى المخلص والبشير إيمانه بالرحمة والسماح وفعل المروءة ورحمة ضعف النساء والصبايا، وحرمة البيت والأركان والعفو عند المقدرة للدرجة التى استحى فيها منهن فى مجتمع لايعرف الحياء .

جمال الفعل الشعرى لاينبع فقط من مضمونه الأخلاقى إنما ينبع من تكامل الدفقة الشعورية والجمالية عند الأم وبناتها فى إيقاعها الموسيقى المتكامل حركياً وتخيلياً داخل المشهد الشعرى وبما يؤكد على إثارة النفس وإثارة الشعور ويجعلها تسلك مسلكاً مستهدفاً يتحقق فيه المراد من استدفاع ا لمضار وجلب المنافع كما قالوا قديماً، وهذه المعانى تنبثق بقوة الاندباج الشعرى من البنات والأم بالتكرار الندائى لفارس الخيل/ الليث ومع التغير فى القافية من الأخت الثالثة إلى الأخت الخامسة ومع تغيير مدخل الأخت الثالثة.. لايستنفذ التكرار الإبداع إنما يدخل فى إطار

الإحاطة التامة بالمعنى.

فى هذا الفعل الشعرى تكشف أنوات/ البنات وأمهم عن الآخر عنتر ملامحه وفروسيته وقوته وأخلاقه وحلمه، كما يكشف لنا أنه فى السيرة لاشئ من لاشئ وأن لكل حدث ضرورة وأن لتصاعده سبباً ولكل مايتراكم عليه ويتراتب هدف وهذا يخلق العبقرية الملحمية فى السيرة الشعبية عبر مئات الصفحات وعبر مواقف التوتر والقلق والمفاجأة والتلاحق والملاحقة والصدفة المدروسة حكائياً والجريان المداوم بالتأكد والبرهان، والإغراء والخيال والقتال والصدام والحب والجنس والغدر والخيانة والصلف والغرور والصمود والتحدى والمغامرة والمخاطرة والوصف والغزل والحق ذوالكراهية والفروسية والجبن والضعف والدهاء وتحالفات المال والسياسة والعنصرية ، وفى كل هذا لاتجد حدثا قد أخل بحدث أو عنصراً لاقيمة له وإنما كل العناصر متدفقة فى نهر واحد هو نهر السيرة مهما تشعبت فروعها أو اتسعت ودبانها وضروبها أو طالت شطوطها، فإن هذا النهر يجرى فى مجرى واحد من الراوى إلى جموع المتلقين فى فاعلية فائقة لتحقيق ديمومة الانتباه والمتابعة ومن ثم الارتباط بالمجموع يوماً بعد يوم، وعصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل، حتى تتغلغل السيرة البنية الأدبية الكامنة ، وتصبح حاضره بخصوصيتها الفنية المتدفقة من ماض سحيق الفاعلية فى قلب حياة نشطة ، وتتأسس كبنية عميقة وكامنة قادرة على الصمود والتحدى* .

• راجع ماكتبناه عن البنية الأدبية الكامنة فى كتاب : ضد هدم التاريخ وموت الكتابة .

الدقة الدرامية

كل شئ في السيـــرة مرتب بدقـة درامية فنيـة فائقـة عـبر عـشرات الآلاف المؤلفـة من الكلمات التى تـجاوز النصف مليـون كلمة تـضمنتـها أجزاء السـيرة دون أن يعتـورها التراخى أو أن يصـيبهـا الملل أو التفكك أو تترهل أحداثها .

ولنرى مثالاً على ذلك... حين تتحول المعرفة العلمية الشعبية فى السيرة إلى واقع فنى وقيمة جمالية تكتمل بها معالم الصورة الأدبية المجسمة داخل السيرة ، ولـنقرأ : فوقع الحسام فى جـبهته فـما زال يقطع إلى أن وصل إلى سـرته فـوقع الأسـد قطعـتين وصـار على الأرض شطرتين لأنه وافق وثبـة الأسد وقوة ساعد البطل الأمجد»، ولنقـرأ ثانياً هذه الفقرة: فتلقاه عنتر وفى يده حســامه الظامى الأبتر وجاوله مـجاولة الأسد الليث الغضنفـر، مع وثبة الأسد ضـربه عنتر بالظامى الأبتـر بين عينيه فطلع الحـسام بين فخـذيه فوقع على الأرض قطعتين وفى ذلك الإيوان جزئين .

فى الحـادثتين الســابقتـين: الأولى أمام الملك المـنذر والثانيـة أمـام الملك كسـرى نتيجة علمـية ناشئة عن تـصوير اصطدام قوتين وثبة الأسـد مع قوة ساعـد أمجد أو ضربه ظامى عنتـر فى توافق زمنى ومكانى واحد والنتيـجة

هى انشطار الأسد إلى نصفين، فالانشطار عملية لها مايبررها من المنطق العملى والعلمى الموضوعى عند اصطدام قوتين كبيرتين وتغلب إحداهما على الأخرى. وجمال هذه الصورة فى إبراز عنصر الصراع بين قوتين لهما سمات مختلفة وطباع مغايرة، الصلابة/ السيف، وبين النسيج العضلى اللحمى لعنتر ووثبة الأسد الذى هو عضل وعظام صلبة، ومضافاً إليها قوى التحكم الفيزيقى والنفسى لدى عنتر حتى يحكم ضربته بما يتوافق مع وثبة الأسد الجسورة. وقد يبدو الحدثان متشابهين إلا أن الفروق الدقيقة الفنية التى تنشأ مع تتابع الأحداث وتصاعدها وتشابكها والتى تشكل فى مجملها جمالاً فنياً رائعاً وصافياً حتى التى تميز هذه عن تلك وتبين أن لكل شئ سبب ولكل حدث ضرورة فنية، فالأولى التى كانت أمام الملك المنذر كان عنتر فى أول جولاته لم تصل قوته إلى الكمال وكان على مستوى القبائل وأنجته من أسر الملك المنذر ، أما الثانية فقد اكتسب قوته واكتملت ووصل إلى مجال أكبر على مستوى القوى العالمية آنذاك وأكدت تفوقه على أعوان كسرى، لذا كانت الضربة الأولى إلى السرة فقط أما الثانية هى تتناسب مع القوة العالمية وهى الإمبراطورية الفارسية فكانت أقوى وخرجت من بين الفخذين، بعد أن جازت السرة إلى مابعد الفخذين .

ويمتد الجمال الفنى داخل السيرة ليشمل الأسماء فنجدها وقد عبرت عن خلاصة الشخصية وسلوكها وهذا ظالم بن حارث نسل الأبالس، وهذا قيس الرأى بن الملك زهير صاحب الرأى السديد، وهذا خالد بن محارب الذى بانت له الأهوال والعجائب، وهذا يزيد الملقب بالملك الأسود لأنه سفاك الدماء عظيم الخلقة واسع الجثة، وهذا العبد مسروق بن ربيعة

الماهر فى دخول الحلل وسل الخيل وهذا الأمير غاسق عميق السواد وهذا أبو اليقظان الذى تفزع منه الجان ومن أصحاب الحرب والطعان وهذا الصدام بن المهلب صدام الرجال وهذا أبو الأشبال إذا قعد دارت أشبال الأسود وتبقى تحرسه إذا نام من النوائب، وهذا ملاعب الأسنة ورداد الأعنة، وهذا مبادر من بنى جشعم الذى بادر بلقاء عنتر فقتله الأمير بسطام صديق عنتر فكان أول من بادر بالقتال وأول من قتل ، وهذه الفرسة طيفورة مثل الغزالة المذعورة، وهذا السيف الظامى، وهذا روضة بن منيع وقد سبق ذكر جماله وقتاله وهذا الملك الحبيب لأنه حبيب الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه ابنته سطيحه لأنه سطيحة المرض - وسيأتى ذكرها فيما بعد.. الجمال الفنى فى هذه الأسماء ينبع من كونها تكسب بمفرداتها اللغوية الغنية بالدلالة الحدث إثارة وتشويق وتقوقع وتبعد السامع والقارئ عن الملل والزهق خلال عشرات المئات من الصفحات.

فطيفورة مثلاً - على سبيل المثال - إسماً لفرسة أحد الفرسان، .وهى استخراج فنى من (طفر) أى قفز ووثق وهو متناسب مع طبيعة هذه الفرسة داخل السيرة فى القتال وفى التحرك المفاجئ الذى لايثبت على حال والوثوب من مكان إلى مكان كالغزالة المذعورة، وهنا تحاكى الطيفورة جمال طبيعة فى حركة ورشاقة الغزال بالوثوب والخفة والرشاقة والجمال .

غاية الدراما

إن غاية الدراما كما يرى شوبنهاور : «هى أن تبين لنا طبيعة ووجود الإنسان. وطبيعة الإنسان هى شخصيته أما وجوده فهو المواقف والأحداث والظروف التى يوجد الفرد فيها» وكلاً من الشخصية والوجود يُبرز كلاهما الآخر كما يرى شوبنهاور، شخصية عنتر ضد الفردانية والذاتية والدونية، وعنتر مثال للجموع المقهورة التى تطمع فى التحرر والتى نشأت قبلاً فى القهر والذلة.. وأصبح عنتر بمواقفه مثال للشرف والدفاع عن النفس ، الصمود والتصدى، والعيش فى عزة ومن هنا كان صراعه ضد الجبابرة أفراد وجماعات على امتداد الكرة الأرضية وأمبراطورياتها وتيجانها ولذا فهو «عزيز الجار فى كل موطن»، وجسور إذا مابان له الموت كان هو المهاجم والحامى لقومه عند مشتجر القنا وكان يرى أنه إذا قنع الفتى بذميم العيش واختفى كالبنات ولم يهجم على الأسد الضوارى ولم يطعن صدور الصافنات ولم يخش النزال إذا أتاه ولم يكسب بضرب السيف مجداً ويحمى عن حمى الجيران جهداً :

- فقيل للناعيات إذا نعوه	ألا فاقصرن فعل الناعيات
- ولاتندبن إلا ليث غاب	همام فى الحروب الثائرات
-	فموت العز أطيب من حياتى

ثم إنه فى كل ذلك يرى أنه :

لايحمل الحقد من تعلو له الرتب ... ولاينال العلا من طبعه الغضب

ويقول :

دع ذكر عبلة والزمان الأول ... وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا بليت بظالم كن ظالما ... وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
واختر لنفسك منزلاً تعلو به ... أو مت كريماً تحت ظل القصطل
والموت لاينجيك من آفاته ... حصن ولو شيدته بالجندل
وإذا الحبيب جفا ومل فخله ... فى غيه واسمع مقال العذل
موت الفتى فى عزه خير له ... أن يبيت أسير طرفٍ أكحل

مواقف الحرب والشراسة والقتال كمواقف العظمة والمهابة ...... عنتر قوى شجاع لايخاف ولايرتعد من التهديد حتى أنه صلب رسل ابن كسرى حينما أتوه مهددين وضرب رقابهم كخير جواب على التهديد والوعيد.. ولغة الراوى لغة مجسمة دقيقة فى وصفها تستكمل تجسيمها من عناصر الوصف الوقائعى وعناصر التهيئة النفسية الناشئة عن شراسة وضراوة الموقف القتالى.. تستمد جمالها من الصورة البيانية ، قال الراوى:

«... فعرف عنتر ذلك معرفة الرجل الخبير لما بان له من خصمه التقصير فجد معه فى الطعان وقال هذا وقت المجاهدة وثبات الجنان ثم صاح فى البطريق وهجم عليه وأراد القتال فى وسيع المجال فعندها صاح به البطريق

وزعق عليه وطعنه طعنة فصبر للطعنة حتى قاربتـه فمال عنها وسحبها على درقته بحسن معـرفته وصناعته وأمهله حتى قرب منه فـحاذاه وضربه بعقب الرمح بين كتفيه فـأدهشه وزعق فيه فأرعشه ومن قلة اكتـراثه به لم يتبعه بل صبر عليه حـتى عاد إليه جنانه وصحا على نفســه فى الميدان وقد قل نشاطه وجـولاته فـتعـجـبت الجـيـوش من فـعالـه وعفـوه بعـد المقـدرة عليـه فى مـجـاله...... مـازال عنـتـر يحـاوره إلى أن أتعـبـه وهو يطاولـه ولايطعنه ولايضربه حتى قارب الزوال وقد قاس البطريق من حرب عنتر الأهوال ولما توسط النهار وقلقت المواكب من الانتظار وجد عنترة مع خـصمه فى القتال وضاق على الأثنين الميـدان وغابا عن العيان وأبصر الديلمـى هذا الحال فنبه عزيمتـه عند اشتغـال عنتر بخصـمه فى المجال فـانقض على عنتر انقـضاض النسر على صيـده وصاح فيه وأتى له معارضاً وهز الحـربة فى يمينه وصوبها إليه وقال خذها ياابن الأمة البدوية من كف بهـرام فارس النار الحمية، وكان عنتـر مع مـاهو من اشتـغـاله بخـصمـه يقـاتل وعـيناه إلى سـائر الجيـوش والجحـافل وذلك حذراً منه على نفســه لأنهم من غير أبـناء جنسه ولما علم عنتر أن الديلمى حمل عليه عرف مـراده وأخذ حذراً منه ولما قرب العجمى منه وصوب الحربة إليه وسمعـه وهو يقول خذها ياابن الأمة البدوية وعندها رفع عنترحـربته واستـقبل حربة العـجمى ولقفـها فصـارت وبقيت فى يده وكان البطريق لما سمع أن بهـرام قد حمل على عنتر وجرى له مـعه ماجرى ورآه قـد اشتـغل به عنه نبـه عزيمتـه وأراد أن يضربه ويعـجل منيته فـعندها استقبله عنتـر بالحربة التى فى كفه وزعق عليه فأوقفـه وضربه بها فى صدره فأنفـذها من ظهره فمال بهـا صريعاً يمج علقمـاً ونجيعاً وعـاد بعدها يطلب

بهرام وقد صار الضياء فى وجهه كالظلام.. هذا وقد ضجت موكب العجم وقالوا : وحق النار ولهيبهـا إذا أضرم أن هذا مافعله أحد من الأمم....» ... هكذا عنتر حكيم مهاب فنان فى القتال كما هو كذلك فى الحياة .

عبلة

الرمز الكبير فى هذه السيرة الذى يلى عنتر هو «عبلة» ، وعنتر بهذه القوة الجبارة كان يستطيع أن يسبى عبله ويفعل كما يفعل أهل زمانه أو كما فعل خصمه عمارة القواد، ولأن هذه القوة الجبارة من أجل الحرية والشرف والمثل العليا، ولأنه يقدم النموذج الأخلاقى ويريد امتلاك حبه بكل مايمتلك من قيم الشرف والبطولة والاستمساك بالدفاع عن حريته وحرية الآخرين ضد قوى الظلم، وإخضاع العالم للحب والحرية، ونبذ التفرقة العنصرية، ولذا فعنتر يقول: أحبك حب كرام الرجال...، وعبله هى الوطن الذى يدافع عنه ويريد أن يحيا فيه كريماً شريفاً عفيفاً قوياً عزيزاً... الدافع الجنسى مرتبط بشروط عنتر الأخلاقية والظروف الموضوعية التى تخلقها حالة الصراع الدائم بين الشر والخير، والتى تؤسسها حالة الحصول على الحرية فى المجتمع القبلى والاعتراف بحق العبيد فى الحرية والحياة والاختيار.

الكامن الخفى وراء هذا الرمز هو الطبيعة الإنسانية فى تطلعها نحو الكامل الحياتى ونحو المثال الأخلاقى، والجمال فى هذا الرمز يتفجر بأبعاد مثلثة مجسمة متداخلة ومتلاحمة **الأول** منها فيزيقى وفسيولوجى مجسم وممثل فى جسد عبلة الأنثوى الآخاذ الذى تندفع حوله أحلام الرغبة والتملك والجنس وممارساته، **والثانى** فيها حركى تفاعلى سيكولوجى ينطلق

من الذات إلى الآخر فى علاقات القرب والمودة، والبيئة المحيطة ومايعتريها من كر وفر وحب وكره وإقامة وترحال، **والثالث** منها هو ديمومة التضحية والفداء وأمانى الإنسانية فى اكتساب الحرية والتمتع بها فى شرعية واعتراف.. فكان يمكن لعبلة أن تسلم نفسها لعنتر وتهرب معه وكان يمكن لعنتر أن يسبيها ولكنه السعى نحو امتلاك الكمال والمثال..، فى ظل ديمومة الهوان والشقاء والحزن والتشتت والأسر والسبى وتبدل الأفراح أتراحاً وأحزاناً وتشعبها إلى قتال ودماء وحرب بلا هوادة ودسائس ومؤمرات حتى تصير عبله البؤرة التى يبدأ منها الصراع ويتشعب ليتجمع عندها مرة أخرى، ثم يتفرع من جديد ويتطور ويتلاحق فى ديمومة من الانجراح حتى تطورت مأسانها وأضحت تطلق عليها العرب مشئومة وكل من أراد الزواج منها مقتول ومسفوك دماءه .

الجمال الفنى ينبع من قهر هذه الأبعاد الثلاثة والتغلب عليها لتحقيق السعادة والتغلب على القهر الفيزيقى والسيكولوجى، وديمومة الحزن والهوان والشقاء ومن هذا التغلب وتكاثف الظروف والمواقف وتشابك الأحداث وتعقدها اللامحدود تصير عبلة كعنتر بطلة مأسوية فى دهر لا يلين .. موعد الأيام والسنين بالأمان فيه كاذباً كما قال عنتر .

وتصير السيرة حلماً فنياً ملكا للشعوب التى ترويها وليس حكراً على طبقة دون طبقة ولاتستأثر جماعة بها دون الأخرى إنما هى بما تحتوى من التنوع الفنى والخيال الإنسانى تمتلك القوة التى تستمسك بكل هؤلاء وتعزز فى داخلهم قيم الخيال والقوة والشجاعة والمروءة والمساواة، ولتصير دفقات وإيقاعات تطلق نيرانها ضد قيم الجبن والخيانة والاتباع والتقليد، وتدفع الإنسان إلى مقاومة قهر الحياة، وتأخذه إلى البقاء والتطور والإبداع والتطلع.

التشكيل الفنى المغاير

فى السيرة نجد هذه المقدرة الجبارة على تشكيل سيرة الأنبياء بعيداً عن الالتزام الحرفى بالمصادر الشرعية والرسمية ، فعندما تجبر النمروذ وادعى الربوبية ، وولد ابراهيم عليه السلام رغماً عنه حرسته الملائكة وأخذه جبرائيل بعد أن أكحل مقلته وأذن فى إذنه وبارك فيه وإلى نهر الرضوان مضى به وهو أبهى من الشمس والقمر وكانت أصابعه الخمس تدر له قوتاً يقتات به فكان الإبهام يدر له عسلاً والسبابة لبناً والوسطى خمراً والخنصر زبداً طرياً ...

وسأل الله إبراهيم أن يحيى إمرأة عجوز قتلها النمروذ فأحياها وأعاد الله عليها حسنها وجمالها ورفعها فى الهواء حتى وقفت على رأس النمروذ وأنزل عليها قبة من نور ثم ارتقت إلى جوار الملك الديان، وقطع الله نسل البغال لأنها حملت الحطب لكى يحرق إبراهيم بقبول . ووجد فى النار الشهيرة التى سيحرق بها إبراهيم نهراً جارياً أمواجه تتلجلج الحضرة فيه ألوان مختلفة ، وأنوارها تتلفج وفيه زهر ينبهج وإبراهيم واقف يصلى ويداه مبسوطتان إلى السماء .

كما جعل الله من الرمال عند المجاعة التى تعرضت لها بلاد النمروذ حنطة فى قدر الفستق مكتوب على كل واحدة منهن فى هذه هدية من الله رب العالمين لنبيه إبراهيم ولمن تبعه من المؤمنين .

ويطلب الملك الحبيب من الرسول صلى الله عليه وسلم، دلائل النبوة أن يسأل ربه أن يرد الليلة الصاحبة ظلمة، ويجعلها ذات كنادس وظلمات بعضها فوق بعض من كل ناحية إلى الصباح حتى لايكاد مخلوق ينظر إلى ضوء مصباح، ثم يصعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى جبل قبيس وينادي القمر ويكون فى تمامه وكماله ثم أنه يأمره أن يركض فى السماء ركضاً بليغاً من مطلعه إلى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعاً ويمجد فى مقام الخليل إبراهيم ثم يأمره أن يقبل عليه ويقف بين يديه ويكلمه بكلام فصيح عربى بين لايشكل على إنسان ويسمعه القاصى والدانى ويسلم عليه ويشهد أنه نبياً حقاً ورسولاً صدقاً أرسله الله تعالى ثم يدخل فى زيقه ويخرج من ذيله ويعود ثانياً ويدخل فى زيقه ويخرج من كمه الأيمن نصفه ومن الكم الأيسر نصفه ثم يمضى نصفه إلى المشرق والنصف الثانى إلى المغرب ثم يعودان راكضين فى السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان بدراً كاملاً مستنيراً كما كان فى ليلة تمامه وكماله. فطلب رسول الله أن يطلب منه ماهو أقوى من ذلك، فقال الملك الحبيب لقد طلبت منك مافيه بلوغ المنى وسأله الرسول عليه السلام بإيعاز من جبرائيل عن إبنته السطيحة قال الملك الحبيب يامحمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقاً سوياً فقال نعم إن ربى على كل شئ قدير وأمر الملك، بعد أن صلى ركعتين ، ودعا الله تعالى أن يدخل إلى ابنته ، فوجدها قائمة على أقدامها وهى كالقمر المنير سالمة الأطراف وهى تقول أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

وطلب الملك من الرسول أن يتم معجزته التى طلبها منه. وبعد خوف أهل رسول الله من عجزه طمأنه الله وقال له جبرائيل : ـ أن الله قال :

وعزتي وجلالي إنني قد أمرت القمر بالطاعة لك من وقت أن خلقته وكونته ثم أن جبرائيل عليه السلام قال :ـ وهاأنا ياأخي يامحمد واقف عن يمينك والحربة بيدى فإذا خالفك وعصاك محوته بها كما محوته أول مرة وكان شمساً فصار قمراً .

ثم بكرامة الرسول عند الله عز وجل أظهر المعجزات وحقق المطلوب منه وأكثر وعاد إلى بيته منصوراً فرأى معجزة أخرى وهى أن الجنين فى بطن السيدة خديجة قد خاطبها، وطمأنها على رسول الله بأنه هو المنصور على أعدائه .

قد حفظت لنا هذه السيرة ماقد يرتد إلى التاريخ السحيق، والتصورات التى انتقلت من زمن إلى زمن، وحفظها الإنسان واستخدمها فى الحفاظ على كيانه ووجوده وإيمانه ولنلاحظ هنا أحاديث الأجنة والرضع وإعادة الحياة إلى الأموات، والأنماط العليا كالتحكم فى الكون وطاعته للإنسان الذى يرغب دائماً فى السيطرة على القوة التى تقهره وتحيره وتأخذه إلى واسع الخيال وسديمه الذى يستفز الإنسان فتتملكه نيران الروعة من خوف ورهبة وقلق وجلال وإحساسات يملؤها الجمال والهيبة والعظمة وأحياناً السكينة والاطمئنان وأحياناً أخرى التوق إلى التقمص والتغلب على القهر والظلم والدخول إلى عوالم التجريب والمقاومة والتشبث بالبقاء وبالحياة. وتكون السيرة مثلها مثل الحكايات الصوفية عند الطوسى عبارة عن جنود، وجنود السيرة تحارب فى دائرة سرمدية تبدأ من قمة الإعجاز بأبى الأنبياء إبراهيم وتحديه للنمروذ ومقاومته الديمومية له، وحتى يصل عنترة وأحفاده (وهم أحفاد الأنبياء) وقد مهدوا الكون للإعجاز المحمدى المقاوم للظلم والطغاة والذى يمتلك مفاتيح الكون .

المقاومة والإصرار

نجد فى السيرة هذه المقدرة الفذة للنفس البشرية فى عنادها وجبروتها وإصرارها وتسلطها وفى المقابل نجد المقاومة الفذة الضد أيضاً والإصرارعليها بكل ماأوتى الإنسان من قوة ووعى لتصير تعبيراً مدهشاً عن جدل الحياة وطبيعة الصراع الدموى بين البشر الذى لا تنتهى على كافة المستويات الفردية والقبلية والجماعية والعنصرية والدينية والسلالية والعائلية والحضارية .

وفى عناد النمروذ الرهيب نجده قد ذهب به عقله إلى محاربة الله، واستخدم الراوى لهذه السيرة العجيبة أدوات وأشياء واقعية وحيوانات قريبة من الإنسان يلمسها ويحسها ويخبرها وأصحاب مهن يعرفهم (نسر - تابوت - لحم - رماح - مسامير من حديد - فرش - نبال - باب - نجارون) .

وخلق من كل هذا تكنيكاً أسطورياً رائعاً : يتماشى مع جدل الحياة الوقائعى والتقريب المنطقى للخيال: قال النمروذ الكافر الجحود عليه اللعنة والخزى من الملك المعبود : إذا كان ذلك كلامك وإلهك يساعدك على فأنا أصعد إليه وأقتله - كذب الملعون الكافر المفتون فإنه يمهله ولايهمله - وقال

الملعون حتى أنظر بعده من ينصرك... ثم أمر أن يصنع له تابوت من خشب واكده بمسامير من حديد وجعل له بابا إلى ناحية السماء وباباً إلى ناحية الأرض فلما فرغ منه النجارون أمر بأربعة نسور عظام شداد فجوعها ثلاثة أيام ثم أنه اتخذ أربعة رماح فسمرها فى أربعة أركان التابوت في أسفل الرماح وفرش التابوت وقعد هو ووزيره معه داخل التابوت وأخذا معهما ماياكلان وما يشربان وأخذ معهما قوساً وكنانة ملآنه من النبل ثم أنه أطلق النسور فرفعت رؤوسها فرأت اللحم مع ما أضرها من الجوع الذى لحقها فطارت تقصد اللحم وكلما ارتفعت ارتفع اللحم فوقها فلم يزالوا على ذلك ساعة من الزمان ، فقال النمروذ لوزيره. افتح الباب الذى يلى الأرض وانظركيف هى؟ ففتح الوزير الباب ونظر فإذا هى كالقرية ثم قال له : افتح الباب الذى يلى السماء ففتحته فقال له كيف تراها ؟ فقال: أراها كما كانت فى الأرض فقال : اطبق الباب ففعل فارتفعت النسورإلى مقدار نصف يوم ثم أمر بفتح البابين ثانياً وقال: كيف تراها ؟ قال: كما كنت ونحن فى الأرض فقال : أغلق الباب وارتفعت النسور إلى ماشاء الله ثم أنه أمر الوزير أن يفتح الباب الذى يلى الأرض. وقال :له كيف تراها؟ فقال له الوزير :إنى لم أرى شيئاً إلا كحمام من دخان فأمره أن يغلق الباب ففعل ذلك وصعدت النسور إلى ماشاء الله ثم أنها ضعفت قوتها وعجز طيرانها وأيقنا بوقوع التابوت وقيل أنه سمع تسبيح الملائكة وسمع قائلاً يقول : إلى أين تصعد يانمرود ياكافر ياجحود فقال له النمرود: فمن أنت الذى تخاطبنى بهذا الخطاب ؟ فقال له: أناملك من ملائكة العذاب أتيت إليك حتى أنظر ماتصنع ومعى الإذن إنك من هنا تقع فقال النمروذ : إنى صاعد

إلى إلهك حتى أحاربه . فقال له الملك : ياملعون ياكافر يامفتون أتدرى كم بينك وبين السمـاء الدنيا؟ قال: لا. قـال : فإن بينك وبينها خـمسمـائة عام وهن سبع سموات تمام وبين كل سماء والتى تليهـا خمسمائة عام وسمكها مـثلها وبعـد ذلك حجب لايـعلمهـا إلا الله تعالـى فلما سـمع الوزير ذلك القول خر فى التابوت ميتاً فرماه النمرود وبقى فى التابوت منفرداً ثم أنه من تجبره وشدة كفره أخذ القوس ووضع فيها سهاماً ورماها فى الهواء....» .

هكذا قدمت السـيرة الإنسان وهو فى قمـة عناده ومجابهتـه للقوى التى تحاول أن تسيطر عليه أياً كان نـوعها دون خوف ودون وجل، وأياً كنا نتفق مع هذه القـوى أونقف ضدهـا ونحاربهـا، فإن السـيـرة تعبـر فى ذلك عن أساس عـميق موغل فى العمق عن تصـورات الإنسان حول جدل العـلاقة بين قوى الشر وقوى الخير والصراع الحـاد والمستمر بينهما ، وعن تصورات الإنسان حـول الكون والله والإنسان والعـلاقة المعـقدة بينهم ومـحاولة كل منهم السيطرة على الآخرين على الرغم أن كل منهم لم يفـقد الصلة بيعضه البعض منذ بداية التاريخ وحتى السيـرة ومابعدها !! لكن التاريخ الإنسانى لايمكن أن يكتسب معنى الحياة إلا من خـلال الفاعلية ضد السكون والجهاد ضد التجمد والتضحـية ضد الإنسانية ، هكذا يكون الوضع الإنسانى داخل السيـرة وداخل الحيـاة كما كـان عنتر بن شـداد ، وإبراهيم رضى الله عنه ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

الكمال الحق

فى السيرة نجـــد هذه المقدرة المدهشـة على انبثاق الجمال والابتكار من الصـــدام بين قـوتـــين متنافرتـين يبـدوان أنهمـا متـعادلتـــان إلـى درجة الوصـول إلى الكمال الحق فـى التوازن بين بشاعة وقـبح إحداهما وجـمال وبهـجة الأخرى، فكـل من النمرود وإبراهيم عليـه السلام، وعنتـر فى سن الستين تبدو منهـما المعـجزات، وتصـور السيـرة مراحل حيـاة كل منهـما والفـروع الممتـدة والأحفـاد فى شكل يصل إلى حـد مـلامسـة التطابق بين الشخصيـات رغم التنوع فيما بين حياة كل منهما والأحـداث التى يواجهها والزمن الذى يعيش فـيه ، إلا أن ملامسـة التطابق هذه تهدف إلى الربط بين قوى الخير من ناحيـة والتواصل الذى ينبعث من نور النبوة إلى نور البطولة ومن ناحية أخرى الربط بين قوى الشر والتواصل الذى ينبعث من نار الحقد والجشع والكفر والظلم عبر التاريخ الإنسانى .

ومن هذا النور، وهذه النار ، تصل السـيرة إلى حد الـكمال الحق الذى يطمح الراوى إلى الوصول إليه ، ويطمع السامع والقارئ إلى الدخول فيه ، فكيف يصل الراوى إلى هذا الكمـال الحق ؟ إنه يصل بالإحـاطة التامـة مرة بتتالى الأحـداث وتفرعها وتشـعبها وتكاثرها حتى لايكـاد ينتهى حدث إلا

بحدث ولاالأحدوثه إلا بأحاديث أعجب من سابقتها، ومرة بكمال الوصف والتمثيل: لما تجبر النمروذ دخل عليه آزر وسجد له فقال له أريد منك أن تبنى لى بيتاً مابنى مثله لأحد... وكل من دخل فيه يمجدنى، .... وأكمل آزر القصر وكان طوله وعرضه ألفى ذراع وجعل حيطانه من قوارير الجواهر وأرضه من المرمر وجعل فيه مجالساً كل مجلس لايشبه الآخر وجعل عوض الخشب الصندل والعرعر وكل مجلس فيه نوع لايشبه الآخر والمسامير من الذهب والفضة والمجالس متقابلة ورصع الأبواب بالدر والمجالس يدخل من بعضها البعض وجعل حصى ذلك القصر من المعدن وأجرى إلى ذلك القصر الأنهار وغرس من حوله الأشجار وجعل فيه أربعة أنهار : نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل ونهر من خمر وجعل فيه أشجار من سائر الألوان وكلها من الذهب والفضة من سائر الألوان وجعل عليها طيور مكونه مجوفه إذا هب الريح عليها، دخل فى الأجراس التى وضعت فى أجوافها ويخرج من أدبارها فتتحرك الأجراس فيتخيل الناظر أنها تنطق بسائر اللغات المختلفة وجعل أسرة من داخل المجالس من اللجين والعسجد مصفحة بصحائف الذهب الأحمر ... وصنع آزر للنمرود صنماً طوله سبعة أذرع وعرضه ذراعان وكان من خالص الذهب وسوره بأساور من الذهب وجعل عينيه من الياقوت وأذنيه من الزبرجد وأسنانه من اللؤلؤ وشفتيه من العقيق وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وسرير العاج مرمك بقبضان الذهب وجعل عليه شبكة من الذهب وسماه زيلون .

وعن الفرسان قال الراوى :

وإذا بفارس قد برز إلى الميدان ومشى فى ركابه مائة فارس أعيان وهو بينهم كالأسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة يضرب شعره إلى حمرة راكبه من الحُدثان فى أمان يطير فى الهواء كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر :

يسابق الريح فما يسبقه	لأنه يسبق لمح البصر
كأنه فى حسنه عادة	بحسنها تسبى عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية	لأنه دوماً قرير النظر

(قال الراوى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر ينبو عنها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلسى أصفر مليح الزى والمنظر محشو بالمسك الأذفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها إلى وراء بشراريب إبرسيم حرير أخضر، وقد أخرج الفارسى يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطار منه الشرر وعلى صدره صليب يساوى من الذهب الأحمر خراج إقليم والفارس له عينان كأنهما شواظان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكال بالياقوت والمرجان.

وفى مجال الحرب والنزال يقول ويصف النزال «تضاربا وتباعدا وتقاربا وتواصلا وتكافحا وترامحا وقد أخذوا فى الكد والجد والأخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة... وأخذوا فى الإبرام والنقض ... وأخذت الخيل تجرى بهم تارة خبباً وتارة قهقهرى .

فى السيرة يبدأ الشكل من المضمون وينتهى المضمون بالشكل يبدأ السرد من التوثيق الإيمانى بالله الذى مد الأرض بحكمته وصرف المقدورات بمشيئته ودبر الأوقات والأجيال ، ومن هذه الحكمة والمشيئة والتدبير فى الأرض والوقت والحين وفى المقدور تتوثق الصلة بين الأصل والفروع، وفى السرد يتصاعد الحدث وتتكشف مساراته حتى تنتهى السيرة بتوثيقها إلى الأصمعى فى تاريخ محدد هو يوم الجمعة المباركة فى أواخر جمادى الثانى من سنة ٤٧٣ هجرية أيام الخليفة العباسى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقد رواها برواية عن الحمزة وعن أبى طالب وعمرو بن معد يكرب وهانئ بن مسعود وعن حازم المكى ودريد بن الصمة وعامر بن الطفيل وعن أمرئ القيس الكندى وعن عبيدة وهانئ بن مسعود، بما يتوافق مع المقولة التى تقول : إن الأصمعى عاش مئآت السنين، ثم نسبة أحفاد قبائل عبس... ملكهم وعشائرهم وأحفاد عنترة وأولاده من المجاهدين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهاجروا معه وقاتلوا معه وحزن رسول الله على وفاة عنيترة فى غزوة الأحزاب ، والصحابى عمار بن ياسر هو حفيد الملك جذيمة بن رواحه ملك بنى عبس الأول الذى يرد أسمه فى الأصول.... وكل واحد وكأنه ريح الهبوب أو كالماء إذا تدفق من ضيق الأنبوب وإذا ركب جواداً يقاتل قتال الأسد الوثوب ويناضل مناضلة النمر الكلوب، ..... وكل من كان من بنى عبس من زمن الجاهلية فإنه قد اتبع دين الإسلام وتركوا ماكان عليه من الضلال ومن فعل الحرام وتركوا أيضاً شرب المدام ثم تقلبت الدهور والأيام حتى شربوا كأس الحمام بعد أن نالوا العز والمنعة والقوة والثروة والمجد والرفعة وقد من الله سبحانه وتعالى على من بقى منهم

بالدخول فى دين الإسلام حيث ظهرت بعثة أنوار سيدنا محمدعليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لاتغيره الليالى والأيام ولامرور الشهور ولاتوالى الأعوام ولايغفل ولاينام وهو الذى يُحيى العظام ويجرى الأقلام وهو الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار وفجر الأنهار وأنبت الأشجار وخلق الوحوش والأطيار وكل شئ عنده بمقدار العالم بما كان ومايكون الذى أمره بين الكاف والنون وبقدرته سقى القرون الماضية كأس المنون وأدار عليهم الموت كؤوس الفنا وأبادهم كغيرهم ممن صاروا سيراً وأنباء، وتفرد سبحانه وتعالى بصفة القدم والبقاء .

هكذا السيرة تنتهى بالشكل الذى يجمع المحسنات البديعية ويتضمن التوثيق الإيمانى والإثبات لمقدرة الله كما بدأت السيرة .

ومن خلال السرد داخل السيرة يتحول الراوى من النثر إلى الشعر فى نسيج واحد من المحسنات البديعية مستخدماً بداخلها من القوافى والصور الشعرية مايشكل إيقاع صوتى وسمعى وبصرى متكامل داخل أسطر متتالية ومتراكمة نثراً وشعراً بناها تؤدى إلى الإعلان ... لاتورية فيها ولكن الاستعارة والكناية والتشبيه كلها مدخلات تهدف إلى الإعلان عن التدفق الحربى والعاطفى والنفسى والدينى والأسطورى والغرائبى حتى ينداح منها السجع والتقفية والمبالغة والغلو والإحاطة فلكل شئ هدف معلن حتى الأسماء - كما رأينا لها طبيعة خارقة أو قل إنها دالة وناطقة والجميع يهدف إلى تشابك الحدث وتشعبه لأنه كلما تحقق ذلك ازداد القارئ والسامع اهتماماً وشوقاً إلى معرفة المزيد وكيف سينتهى هذا الحدث أو تلك المحاورة فيسعى إلى إكمال القراءة أو الإنصات والسماع والتفاعل مع

الراوى إشباعاً لحاجة هامة هى الحاجة إلى المعرفة والرغبة فى الكشف والاطلاع ثم إن الراوى يقودنا إلى مط الحدث من أجل تتبع كل مافى حياة الأبطال من الأصول إلى الفروع ومن النشأة إلى النهاية ثم من أجل بيان قوة السيرة وبيان قوته فى وقت واحد ثم من أجل الاسترزاق .

البنى المضمونية بنى معلنة وفاضحة ذات مغزى دينى تبدأ من تكامل الإدراك الحسى وتصاعد التقمص وعمليات التمثيل والتعاطف والتبنى الذى يبثه التدفق الأسطورى والدينى والحربى والعاطفى والعادات والتقاليد، والذى ينتهى بكسر عادات وإعلاء عادات وتقاليد أخرى هى فى مجموعها ضد مصالح الطبقة المستغلة، ويكسر التفوق الأسطورى والغرائبى بالتفوق الدينى والأسطورى من نوعية أخرى هى فى صالح دين الإسلام وتقديم صورة مقبولة للقارئ والسامع عن أجواء الأساطير الأولية فى خلق البشرية ورعويتها الأولى وفطرتها وعلومها الحياتية والصور الحسية العميقة الغرائبية منها والعجائبية وتفنيد الغموض الذى يحيق أحياناً بالخلق والسموات السبع ونشأة القمر وتفسير الآيات القرآنية لتأكيد معانى السيرة أو حتى لتبرير الآيات ذاتها دون اعتمادها على التفسير الشرعى لها الوارد عند الأئمة وإن كان يستمد منه روح المعانى ..

ونستعر السيرة جمالاً عندما تستمد ذاتها من انسجام غير المألوف فى المألوف على النحو الذى لايكون فى المأساة الإغريقية من اعتمال القوى الإلهية الجبارة فعلها مع البطل وتظل محتفظة بعلوها، ولكن غير المألوف فى السيرة مسخر كقوى واقعية دون اللجوء إلى قوى غامضة حتى يظن المرء أن ماحدث حقيقى وواقع وحادث من شدة إحكام البناء الدرامى فى السيرة

كما رأينا فى النماذج السابقة، ويقول الزاوى لهذه السيرة العجيبة والأمور المطربة الغريبة لقد سمعت عن عنتر مراراً عديدة ممن أثق بهم من البشر واعتمد فى كلام الصدق، قال لى ياأصمعى أن عنتر له حملات تهد الجبال الراسيات وله صرخة إذا صرخها تجاوبه القيعان والبيد ويلين لها الحديد وتفلق الحجر الصلب الجليد وتزلزل الأرض لعظم صرخته وتولى الخيل من شدة هيبته وتحطم الرماح من الازدحام وتتكردس الأبطال والشجعان وماكنت أنا أصدقهم فى هذا الكلام حتى حضرت هذه الواقعة - يقصد حرب عنتر ضدالعجم - ورأيت بعينى تلك الحملة والصرخة من عنتر فحسبت أن الجبال انطبقت على الأرض والأطلال وأن الرعد هدر فى خلاق جملته وصرخته والغمام قد اضطرب من عظم زعفته فعرفت أن الذى كان يصف لى عنتر ماقدر أن يوصف صفاته حتى انذهل عقلى وحار فكرى وتحيرت فى أمرى وفيما كنت أصف عنتر وهذه الواقعة وبين يدى بعض الملوك، فكان يقول لقد كان لبنى عبس عبد نجيب لو عاش لملكت به سائر الأقطار» هكذا الراوى يصدق على كلامه بالراوية الأصلى - وهو من الثقات تاريخاً - بما يوحى بصحة غير المألوف وانسجامه فى المألوف. وقد لايعرف التاريخ المدون لهذه الحروب والغزوات التى وردت فى السيرة تسجيلاً إلا أن الراوى استطاع أن يستغل المعرفة والأخبار المنقولة عن ملوك الفرس والأفرنج والعرب وعاداتهم وملبوساتهم وأفعالهم ليخرج لنا هذه السيرة ويجعل من الخيال والتطلع شيئاً مألوفاً ومقدراً عند الحكى والروى وليشكل منها بحراً للحماية يغرق فيه الإنسان مستمتعاً بالحلم، والتحرر من الواقع القهرى والظلم الاجتماعى.

مولد السيد البدوى

ســـــيـــــاق أدبى

ضد الطبقة المثقفة

(١)

بين سلطة السيد البدوى وسلطة المولد

ينتاب الشعب المصرى الفقير.. الأمى منه والمتعلم، المحروم منه والمجروح والمذبوح على أعتاب السلطة الاقتصادية والاجتماعية والنخبة السياسية والدينية .. وأطماعها المادية، حالة من السلوك الجماعى والجماهيرى.. إذ تندفع فى أعداد هائلة تبلغ مايزيد عن المليونين إلى مركز اللاوعى الشعبى بمدينة طنطا فى وسط الدلتا المصرية حيث يرقد جثمان ورفات السيد البدوى.. من يأتون بالجمال والعربات الكارو والمواصلات الحديثة سعياً إلى مركز وعيهم.. حيث تتشبث الذات المتشتتة فى قرى ونجوع ومدن مصر، حواريها وشوارعها وأحيائها بمركزها الدينى حيث السيد البدوى الغوث الكبير والقطب الشهير أحد أركان الولاية، إمام الأولياء وأحد أفراد العالم .

تسير مواكب الطرق الصوفية ومعها الآلاف من الناس مرددة ومغنية ياباداواى.. فى صوت واحد تقشعر منه الأبدان.. السيد البدوى رمز البطولة والجهاد.. استطاع أن يؤلف قلوب الشعب من حوله ليدافع عن عرضه وشرفه وتاريخه ودينه ضد الغزاة الأجانب وضد تخلى الطبقة الحاكمة فى الدفاع عن الشرف والتاريخ.. وضد ظلم هذه الطبقة للفقراء

والمتاعيس، وضد الإغراء العاطفى ونداء الجسد والشهوة .

"وهذا البحر لايدرك له قرار، مولده يحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء وأصحابهم والأولياء رضى الله عنهم " .

يطلق السيد البدوى البطولة الإسلامية ومُثلها من مكامنها فى الذات الشعبية إلى الواقع الاجتماعى فى شكل كلى مطلق، السيد البدوى يعبر عن التمسك بالبنية الدينية وتعاليمها في شكل من التطبيق الفعلى فى الواقع فى زمن انتكست فيه البطولة وضاعت .. السيد البدوى ليس بطلاً متنكساً إلى الداخل وليس منقطعاً عن التراث والشعب .. إنه الذات المنطلقة ضد قوى الجور والقهر الاجتماعى في الواقع فقد جاء بالأسرى من بلاد الفرنج وأغاث الناس من قطاع الطرق وحال بينهم وبين من استنجد به، إنه صاحب الكرامات الذى خلص تلميذه عبد العال وهو طفل من قرن الثور بأن مد يده وهو بالعراق، وخلصه من قرنه. وحيث أنه رضى الله عنه قادر على حماية من يلجأ إليه ويحضر مولده وقال عن ذلك: "إذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار وأحميهم من بعضهم بعضاً أفيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى."

يموت السيد البدوى... والشعب المقهور يحتفظ بالفكرة والنموذج ويرفض ضياعه فكلما عان من القهر والظلم رفع البدوى إلى مصاف اليد الإلهية وخلق من حوله الكرامات والمعجزات لمواجهة محاولات قوى الظلم لطمس البطولة والنموذج .

الشعب فى اندفاعه اليوم نحو مركز البطولة الكامن يشهر أدبه ونموذجه

الدينى فى وجه الثقافة السائدة وإعلامها المسيطر الذى لم يستطع للحظة إقناعه بتحديد أوتنظيم نسله.. إذ كيف لصاحب القصر الذى يعيش حياة مترفة أن يقنع الفقراء والمتاعيس بتحديد نسلهم من أجل حياة أفضل.. أى حياة أفضل؟ .. نموذجه الذى يعيشه : حفلات سهرات ملذات وبذخ أم حياة لايستطيع فيها الفقير فقط أن يرتدى لباساً نظيفاً... أى مفهوم لحياة أفضل يطمع صاحب القصر إلى توصيله ؟ .. أنه مفهوم الرجل المعدم لا الرجل الحاكم.

وعى الشعب الكامن يرفض دعاياتهم وثقافاتهم وقدوتهم ومؤسساتهم الظاهر منها والباطن ويتجه إلى المولد معبراً عن رفض كلى ضد النظام بمثقفيه وحاكميه..

تنتشر على أرصفة الأبنية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والحكومية والعسكرية والثقافية والتعليمية وفى الشوارع وفى الحارات والخيام.. تتكدس فيها الآلاف المؤلفة.. تنتشر الجوزة والزار وتتصاعد آهات المرضى وتشتد حالات الصرع.. تروى بركات البدوى وكراماته ويلبسون الخرز وحاملات الحظ والبركة وشافيات المرض وواقيات الجسد من الأرواح.. ويباع كل شىء حتى الجسد يباع ، ويردد الآلاف.. الله ... الله ... الله ... الله ... الله... فى الصلاة الجامعة وفى مواكب الطرق الصوفية وفى غيرهما .

تقوم السلطة المدنية باستعراض عسكرى مصغر لقوات الأمن المركزى ومعها وحدات من سيارات شرطة النجدة الحديثة والإطفاء والحرب الكيمائية. ويلى ذلك الموكب الصوفى للفرق الصوفية التى تتجه من مقر

خليفة البدوى إلى مقر السلطة الرسمية ليكتمل الموكب وتسير الطرق الصوفية فى حماية السلطة المدنية كما يعتقد أصحابها.. ولكن فى الحقيقة عند انتهاء الموكب الرسمى عند المسجد البدوى ينتهى سلطانها وتبدأ سلطة المولد. البيارق مرفوعة يحيط بها الصخب وفقراء الصوفية يتمرغون على إيقاع الدفوف والطبول ويتحلقون بخلفائهم من أصحاب الطرق الرفاعية والشناوية والشاذلية البراهمية والبيومية وغيرها الكثير والكثير... سلطة المولد لاسلطان عليها سوى سلطة السيد البدوى الراقد فى قبره المفضض.

سلطة السيد البدوى وهو المخلص عند الشعب لاتستطيع السلطة السياسية إزاءه بأى شئ فقد تعلمت حينما حاولت إيقاف مولده - منذ أزمنة بعيدة - "أيام السلطان الملك الظاهر جقمق إبطال مولد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وأفتوا بذلك لدى السلطان فحصل لهؤلاء الضرر الشديد فمنهم من عزل ومنهم من هرب ومنهم من نفي ومنهم من عزر ووضع فى الزنجير ومنهم من أخذ من مجلس السلطان وهو فى غاية الإهانة والنكال ووضع فى الحديد وضرب فى مجلس الشرع خمسمائة عصا وهكذا كانت عاقبة عصابة الزور والبهتان " .

وسلطة السيد البدوى البطل القطب إمام الأولياء وهو قطب أى واحد فى هذا الزمان، " فهو سيد الجماعة ظاهر الحكم الذى حاز الخلافة الظاهرية والباطنية ثم إنه الغوث الذى هو من المقربين الذين لايعجزه الله عن شئ حين يلتجأ إليه " لذا فسلطة السيد البدوى بحر للحماية يغرق فيه الضعفاء والفقراء الذين يتطلعون للخلاص من أقوياء الواقع وسطوة الحضارة ويتطلعون إلى الشعور بالرضى في مواجهة الألم والفشل والعجز والقلق

والخوف، وهو بحر للأقوياء ليتوبوا إلى الله ويأخذهم السيد البدوى إليه ليتطهروا ويعبر بهم إلى الطهارة ومن ثم النجاة من النار .

أما سلطة المولد فتتمثل فى الحاجة إلى وجود مجتمع كبير يشعر فيه الفرد المنقهر بأنه قد أضحى في ظل بحر الحماية يمتلك ذات مستقلة، غير منبوذة فمئات الآلاف يفعلون كما يفعل بل وينال منهم التقدير ويتبادل معهم تعزيز النفس وتأكيد مقاومة الأقوياء والدعاء عليهم والاقتصاص منهم وتفويض بحر الحماية فى ذلك، ثم ازدراء مؤسساتهم فالشعور بالخوف الذى يبثه الاستعراض العسكرى المصغر فى الموكب الرسمى سرعان مايزول بانسحابه وانتهائه وسرعان ماينتشر مع ذلك كل أنواع رفض السلطة وازدراء مؤسساتها ويتحرر الجميع وينهب كل على هواه مايشاء من متعة راقية أو منعته رخيصة محرمة .

(٢)

مظاهر سلطة المولد الصوفية

ياباداوى ياباداوى .. يابا اا د اا و ااى

الله .. الله الله حى .. الله حى ..

صلى الله على محمد .. صلى الله عليه وسلم

صلى الله على محمد ... صلى الله عليه وسلم ..

تتناثر الكلمات ... تتداخل .. تضطرب الحركات ... تتشابك فى نشوى وشوق.. ترقص الأجساد على إيقاعات المداد:- مداد مداد يابداوى مداد...، وتتمايل فى لاوعى مع ضربات الدف والمواويل المتناثرة فى شوارع وطرقات المدينة ويغنى البعض :

أوعى الشيطان بالمال يغريك

أوعى... أوعى ياروحى أوعى

نحب بس لوجه الله

حب طاهر... حب شريف

الحب يرعى الله يرعاه

أوعى الشيطان بالمال يغريك

أوعى ياروحى أوعى.. أوعى أوعى

وآخر مع مئات وعشرات المئات فى خيمة واحدة حيث الدفء وحرارة الإنشاد: البعض جالس القرقصاء ويتمايل فى نشوة .. من يقول فى صوت مذبوح : الله، ومن يقول فى صوت مجروح : الله، ومن يرد عليه فى صوته مكبوح : أكبر.. أكبر، والمنشد مستمر فى نشاده وإيقاعه الخرافى ..

«قتلنى غزال أبيض بجماله فرحت لقاضى الحب أشكو مصيبتى فأجابنى قاضى الغرام آه آااه آاااااه آااااااه أنا كل جرح فى الصبابة أداويه إلا المحبة لما علمت لها دواااا آااه آه أنا قاضى العشاق والعشق قاتلى» .

فى أخرى تتشابك الأيدى ، وتحترق القلوب وتشتعل النفوس بموج الصراخ ، مئات الأيدى فى حلقات الذكر وتنتفض الأجساد وتهتز وتتلاحق الألسنة مرددة من القلب : الله .. الله .. الله بينما منشد آخر يستزيد من التراث وينهل فى وعى بمشاكل المحرومين :

احكم يابيه النيابة	قدامك مظاليم
حط الطربوش على ناحية	وحكم بأربع سنين
اتنين فى السجن العالى	واتنين فى الزنازين
وعد ومكتوب علىّ	ومسطر على الجبين

هكذا ينتفض المولد معبراً عن انتكاس الحاضر ومعلناً استمرار الظلم من سنوات بعيدة لاتحصى ولاتنتهى !!

وفى خيـمة أخرى يتـفجر الإبداع الصـوفي حتى ليـخيل إليك أن الذى يشدو أمامك قطب صوفى أو إمام الأولـياء أو أن إنشاده الملائكى قادماً من السموات العلا :

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى وأخفيت مابى منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضـميرى صبابتى إلى مقلتى سراً فـتجرى ولا أدرى

ويستزيد :

حـرام على قلب تعـرض للهـوى يـكون لغـيــر الحق فـيـه نصـيب

وتشتـعل الخيـمة بالآهات المؤمنة المأخـوذه بسحر الكلـمات وتضطرب الأجـسـاد تحت الإيقاعـات السـحـرية وتنفض فى شـدة السكر وتموجـات سحب البخور المطقطق برائحته الـذكية النفاذة... الآن لاسلطان على العباد المؤمنة سوى الحق وينتفى ماهو دون ذلك، وتعلو النفس وتطير فوق كل ذى سلطان وكل ذى شرك وظلم .

إنها سلطة بحر الحماية فى المولد لمن يغـرق فيها ويعب ولايرتوى فيزداد عشقاً ويزداد شوقاً ويحترق بالعشق !!

(٣)

إرتداد سلطة المولد

الموال الشعبى «عنبر» نموذج لسلطة المولد
وما أصابها من تراجع وتحول ونكوص

الذات الأدبية فى المولد تستخلص من النموذج الدينى كينونة ماضيها وتطلقها فى رؤى جديدة تجتر معها ملابسات زمن قديم تضعه فى موال شعبى يقدم القص الدرامى الغنائى القائم على تطهير الذات من الذنوب والتيه فى حب الخالق والدعوة إلى الفضيلة، ومواجهة الرذيلة ككينونة قديمة يجترها المغنى الشعبى ويعيد إطلاقها على إيقاعات موسيقية مصاحبة له .

البطل الحديث فى الموال الغنائى الشعبى منسحق يطحنه الظلم ويستباح ماله وعرضه وإنسانيته يتطلع إلى الحماية وإلى البطل المنقذ ويتشبث بالرمز الدينى ليتغلب على قوى القهر وقوى الشر.

وتنطلق قصة عنبر فى المولد على إيقاع الموسيقى الشعبية بغناء الحاجة هنيات شعبان :

"عنبر طفلة يتيمة عندها ١٢ سنة. الأم جميلة وعنبر أجمل.. كانوا فقراء

.. بدأت تكافح وتربى بنتها تأكل اللقمة بالعرق وفى يوم واحد تاجر شاف أم عنبر وعنبر رسم خطته وقال البنت دى ثروة والبنت دى كنز بالنسبة لى أنا ...

تاجرإيه .. دمور»

يحاول التاجر إغراء الأم وبناتها ويتزوج الأم بعد خداعها والتاجر تاجر فى لبس الغلابه والفقراء .. والدمور .. ويضعهم أمام الخمر والسكر لكن الأم ترفض وتقول «نكلها بالملح.. نصوم عن الزاد إلا المكان ده. دا مكان مايرضى الله ورسوله.. اللقمة بالملح، والشرف والكرامة أجمل من المال والدنيا ومافيها» فى موقف درامى مجسد بدقات الموسيقي وتأوهات الجماهير وحركات المغنية الراقصة وأعوانها.. تحاول أم عنبر على هذه الإيقاعات أن تأخذ ابنتها من هذا المستنقع وتهرب لكن التاجر «قتل أم عنبر وبقت يتيمة عنبر .. قال لها تعالى لفى وهات لى فلوس بجمالك، وقفت ذليلة لاحول لها ولاقوة ..

قال لها أنا حاتم هافضل عليكى فى المعاصى حاكم، تعمل إيه عنبر ..!!:

غناء:

حكم عليها الزمن تعيش مع جبار

حكم عليها الزمن تعيش مع جبار

فرض عليها كمان تلعب معاه بالنار

وناسى أن فيه عذاب من الواحد القهار

وناسى إن فيه عذاب من الواحد القهار

بكره يجى يوم

بكره يجى يوم

بكره يجى يوم للعاصى يتندم والجنه تحرم عليه ويكون مصيره النار.

ثم إيقاعى موسيقى شجى دون غناء

ثم تكرر الراوية المقطع السابق كله وتستمر : وقال لها يبقى بأمرى أنا، هاتفضلى كده وأغراها بالذهب والملابس... تعمل إيه عنبر وهاتعمل إيه عنبر !!

هاهى الدراما الشعبية تأخذك من توقع إلى توقع ومن حدث إلى حدث ومن صراع إلى صراع. الخير مع الشر والشر مع الشر.. الحدث يتفتق عن حدث آخر ويتطور عن شخصيات وحوارات وتساؤلات واستفهامات تضعك في قلب السيرة فتندفع ضربات الموسيقى وألحانها، وصوت الراوية ليغوص فى أعماقك باندفاع نبضات جوهر الفكره والفعل والتوتر إلى قلبك ووعيك، أنت إذن تدخل الفعل الحركى الكلى مع التكرار وتردد فى ذهنك وبلسانك وجسمك الموسيقى والكلمات وتردد فى وعيك المضامين وتتفاعل بجسمك مع الخير والشر والأمل والترقب والحب والجنس والإغراء.. منفعلاً فى كل ذلك بالقيم الدينية .

«وزادت عنبر فى الطغيان

وعملت ذنوب أشكال وألوان

ربنا عنها ماهوش غفلان

يمهل لكن عقابه شديد

آه ... آه ...

جمالها فعلاً كان فتان

فتن قلوب كل الشبان

تغرى فلان وتسيب علان

وكل يوم مع شاب جديد

شرفها بتحافظ عليه

أماالشباب بتضحك عليه

تأخذ من الباشا والبيه

فلوس مالها أبداً تحديد»

الرواية تجعلك تحب عنبر وتقف معها فهى البنت الجميلة المجبرة التى لاحول ولاقوة لها والتى حكم عليها التاجر ممثل الفئة المستغلة وهى تنتقم من البشوات والبهوات ...

الشرف هذا المدلول الشعبى والرمز الكبير الذى يدافع عنه الفقراء إنه ممثل لهم فالحفاظ عليه حفاظ على شرف الطبقة الفقيرة والانتقام من أولاد الأغنياء انتقام تعويضى تلذذى ذا مغزى ودلالة كامنة فى الذات الفقير.فعنبر ليست لعوباً فحسب بل بطلة تنتقم .

تنطلق الرغبات المكبوتة للجماهير، مع الإعادة والتكرار فتتصاعد حدة الانفعال وينطلق من أبيات السيرة ذاتها نوعٌ من الترقب الدرامى المتبادل بين الجماهير والرواية.. الجماهير تنتظر ماذا ستفعل عنبر مع أولاد البشوات والبهوات والرواية تترقب مزيد من التفاعل مع الجماهير لتتحقق متعتها ونجاحها ..

«عنبر جميله قوى ياما شردت شبان

سابوا المدارس عشنها وداروا في كل مكان

وياما خلت عقول اتبدلت بجنان

وياماخلت شبان جروا ورا الشيطان

وخالو بالكوا معايا ... وخالو بالكو معايا

وخالو بالكو معايا ... واسمعوا القصة

هاتلقوا فيها عظا لبنات .. لبنات مع الشبان وتقول للشباب والاثنين الأصدقاء اللى كانوا فى التعليم أنا بحبك ... وللتانى بحبك وتأخذ دا من ورا دا ! : !!

ويتصارع الاثنان حتى يقتل أحدهما الآخر بعد أن يفشلا فى التعليم ويدخل القاتل السجن، وتتصاعد المأساة وتنطلق من المأساه العظة والاعتبار .. أثناء أحداث التشابك والقتل ...

«ياللى إنت فى المدرسة وعندى نصيحة إليك

انظر لمستقبلك واوعى البنات تلهيك

اوعى الشيطان يغلبك

واكسب رضا الوالدين

الدعا منهم حجاب

والرب يرضا عليك

والعلم راح ينفعك

ويكون سلاح فى إيدك

ويعلا بيه مركزك

والكل يفرح بيك

واحد أبوه مات وإيه اللى خدوا وياه

والتانى راح على السجون بسبب حبيب يهواه

آدى نهاية شباب كانوا بيعصوا الله

اللى بيمشى عدل ياعينى يحتار عدوه فيه

اللى جرالهم بقي ماحد يوم ينساه».

الموعظة والاعتبار آلية واعية للاتفاق الشعبى وحدوث التكامل والالتقاء بين أبنائه ففى قمة المأساة تنطلق الحكمة والموعظة والإرشاد والتعليم والتلقين والتربية وتبادل الخبرات الحياتية. الراوية إذن بهذه المواعظ الحياتية والدينية تتجه إلى إحداث ارتباط مع الجماهير المعذبة، ارتباط درامى فاعل تتمايل فيه حركات الجماهير على إيقاعات الموسيقى والمضمون ... إنه كل فى واحد، تصير فيه الراوية كالجماهير وتصير الجماهير كالراوية، تنتقل الراوية إلى ضحية ثانية وتوقع بأحد الأغنياء الذى يبيع الأرض ويصرف الأموال من أجل جمال عنبر وترى أمه ضياع ماله وخراب بيته وأولاده .. فتنصحه بطاعة الأم وترك عنبر فكما دعا الوالدين حجاب دعت على عنبر وقالت «يارب تبليها وتنام مريضة ولا فى طب يداويها» تستغل الراوية الارتباط الدينى الاخلاقى بالأم ودعواتها المستجابة معطيةً بعدا مأساويا دراميا وحدثا جديدا ينشأ من معصيه الله وطريق الحرام ودعوة المظلوم سببٌ لاستمرار وتطور الرواية وتناميها فى شكل درامى فهذه العناصر سبب أساسى فى المعتقد الشعبى للانتقام الآلهى وتحقيق العدالة المفتقدة.

ويكون المرض هو العدالة والانتقام والإصابة فتصاب عنبر بمرض معدى ويتخلى عنها الجميع وتتعرض للجوع والفقر والذل والمهانة : ان طلبت من حد شوية مية يقولها آخرت الظالم كدة ولا حد يعطف عليها».

مزيد من التشابك والتداخل والتفاعل المجسم فى استحضار وقائع الحياة من دعوات المظلومين.

عجبى على اللى بيظلم ديما أهله

وهو يعطى ويسعد ناس مش أهله

واعجبى... واعجبى

خيره لغيره وساقى المر لأهله

كلام ها أقول لك

خاللى بالك منه

الجنة تحرم على العاصى .. على أهله

عقاب عنبر عقاب شعبى متداول عند أولئك المحرومين والفقراء المتمسكين بالدين دفاعا عن ذاتهم ضد القهر.. ولان عنبر حافظت على شرفها هذا الرمز الكبير عند أبناء الشعب فان الراوية تحتفظ به ليبعث من جديد وليعمل فى أحداث الرواية فيتحقق مزيد من الدراما والتشويق .. من خلال الصراع بين عنصر إغراء الشباب واللهو الجسدى وبين الحفاظ على الشرف .. ثم هى تكافىء للحفاظ على الشرف ويظهر عنصر درامى جديد ، يتزوجها ويؤدى إلى توبة عنبر والكف عن شقاوتها وهذا الحفاظ على الشرف مبرر فى قبول الله لتوبتها أمام الجماهير.

العنصر الدرامى الجديد والمفاجىء فى رواية عنبر هو المداح ... المداح كحقيقة واقعة فى الحياة الشعبية، المفاجأة التى يحدثها ظهوره مفاجأة جدلية لها من الذكاء ماتحقق به الشرعية على الراوية ذاتها وعلى ماتقوله فهى مداحه أيضا، وبما لهذا المداح من حق فى تبرير التوبة لأنه مادح للنبى ولكلام الله.. فهو البطل المنقذ الذى يرد الظالم ويتغلب عليه وينجذب إليه الوالهون والمنقهرون: «سمعت فى ضوء القمر والليل، واحد بيحتفل بمولد النبى وفى ذكر الله... وفى ذكر الله والمولد وسمعت المنشد إللى بيمدح رسول الله :

«وأراد ربنا لها بالإخلاص

سمعت في ليلة راجل مداح عمال بيمدح زين الملاح

وصوته كان حلو الترديد

مدح النبى كان رأسماله

ومهنته اللى بتحلا له

يقول وينظم أقواله

وكان نشيده أحلى نشيد

المدح دا بيهز قلوب من شوقها لنبيها تتوب»

ولأن المفاجأة بدخول عنصر المداح مفاجأة درامية عميقة التأثير فى تنامى الأحداث وفى الجماهير فهى تأتى في سياق يشعرك بأن هذه اللحظة هى اللحظة المناسبة لوجودها ودون أن يشعرك بالانقطاع أو الإقحام .. فى نفس الجو.. القمر والليل وفى المناسبة .. وبنفس الطريقة الموجودة فى جو المولد وعلى لسان الرواية يكون دخول المدح كعنصر درامى .

يمنع المداح الناس من الاعتداء على عنبر ومنعها من دخول مكان ذكر الله فيقول «سيبوها.. عايزه تسمعى أيه ؟ قالت : له زيد .. زيد من مدح النبى قول .. وقلبى عطشان.. قلبى اللى عاش فى المعاصى.. منك لله يااللى بعدتنى عن الطريق الحلو ، عن الكلام الحلو.» تتوب عنبر على يد المداح ومن خلال الحوار تتيه عنبر فى اللجوء إلى الطريق الشريف ..

«قالت يامداح النبى إللى مشانى فى الطريق حاتم

مشانى فى طريق عاتم

وكان على حكم شديد .. صحيح ياما خطفت قلوب

ولكن شرفي حفظت عليه وياما أخذت فلوس من باشا ومن بيه» .

قالها يعنى الحمد لله .

قالت هى إيه :

قالت يامداح النبي أنا تبت والنبى

مدحك لحضرة النبى خلا الإيمان فى قلبى يزيد

آه آه آ اااه آه ااا ه آه

إيقاع موسيقى منفرد :

وقال لها يارب ياعنبر قلبك يصفى ويطهر

وبالمديح قلبك يعمر

هافرح علشانك فرح شديد

قالتله مايكترش على الله عبد ويرجع إلى مولاه

وكل حاجه بأمر الله وربنا يبدى ويعين» .

معجزة التوبة والإنقاذ تتحقق على يد المداح :

«أنا هاأرحمك من إيدين الظالم

قالتله آه لو شاف الصحة جت تانى ورجع الجمال

تانى.. هايخدنى من تانى لبيع الخمرة».

صراع يلـوح فى الأفق.. الصراع بين المداح وحـاتم.. الصراع بين الخـير والشر.. يذهب المداح طالب يد عنبر فيرفض حاتم وتحاول عنبر إقناعه بأنها قد تابت وتقول: «إسمع كلامى أنا بترجاك آخرة الطريق نهايته هلاك أنا من النهارده مش وياك أنا مع الله والصلاة والعبادة والحمد لله . قال لها : والمال والعز قالت له : لاحد مات ولاخـد المال وياه ولاالقصور والفدادين خليك للدنيا وأموالها واتركنى أعبد ربنا» . يزداد الصراع ويهجم حاتم على المداح وعنبر ويخطفها ويعذبها ويمنعها من الصلاة وذكر الله وتقول له: لايمكن أنا ها أطيع أمرك .

عدوان الظالم لاينتهى.. الإصرار على الظلم وهتك الدين والأخلاق... والأحـداث لاتنتـهى .. والليـل طويل ومـقـمـر والجـو يلتـهب من حـرارة الموسـيـقى والازدحـام ودلالة الكلمـات .. المخرج الـشـعـبى مـخـرج دينى نسـتعين به الراوية لاليـعلوا به ويبقـيه غـيـبـياً ولكن ليـجسـده فى الواقع.. الراوية تنقلـك به من توتر إلى توتر ومن ترقـب إلى آخـر وعلى ضـوء هذا التكنيك تجد نفـسك وقد تطلعت مع الجمـاهير بعد تعقـد الموقف والصراع بين حاتم والمداح إلى حل من الله ويكون المخرج الغـيبى المجسد فى الواقع وتكون المفاجأة ضمن نسيج الحكى بلا انقطاع أو إقحام ..

«وليلة نام لاقى اللى بيتكى على نفسه وبيخنقه وسمع صوت بيقول :

ياعاصى توب وسيب الملك للمالك كفاية ذنوب ... قام يجرى فى البلد لاطايل نوم ولاراحة ولاهانيله طعام. ينام تانى اللى شافه الليلة دى يشوفه الليلة اللى جايه» .

تجسد الغيب في الواقع وفى الخيال فى شكل من أشكال الحياة القائمة.... جرا على بيت ربنا يتمرغ.. الناس طردته من المسجد.. الناس والمصلون والأطهار طردوه من المسجد.. وقف الشيخ وقال له:

ياحاتم توب وسيب الملك للمالك كفاية ذنوب .

قال :

هى كل ليلة بأسمعها أتوب ، إزاى» .

دخول هذا العنصرالدرامى مع الغيب المجسد بمثال فى الواقع يأتى ضمن نسيج القصة بلا قطع فيها، فى لحظه فاصلة تحدث الدهشة والترقب والصراع النفسى والذى تنقلك الراوية إليه بكلماتها وصوتها وإيقاعاتها الشعبية .

هذا الإيقاع الموسيقى الشعبى: مناسبة لإعلان الحق الإلهى والعدل السماوى ووعظ الجماهير ، يقول الشيخ :

- ليه تترك الفرض والمسجد قصاد دارك

وتنسى ليه اللى رزقك بعشاك وفطارك ؟

ربك عطاك النعم وأنت كمان تعصاه

ربنا مطلع على كل أسرارك

ويقول حاتم :

- ياسى الشيخ أنا لو تبت إلى الله ربنا يقبل التوبة

قضيت حياتى كلها فى المعاصى.. ربنا يقبل توبتى

لوتبت

قال له :

التائب من الذنب كمن لاذنب له

- إلحق

- ألحق إيه

- إلحق توب

ياعبد ارجع على ربك قبل الأوان مايفوت وسيب طريق الشيطان واترك طريقه يفوت واعمل عمل.. اعمل عمل..اعمل عمل ينفعك فى الآخرة بعد الموت .

إن كنت فاكر بإن العمر دايم

دا يوم تعيشه ويمكن تانى يوم تموت» .

هنا تتدفق الموسيقى فى إيقاع قوى يرهبك ويشوقك إلى الخطوة التالية: إنها مشهد توبة حاتم..

جرى حاتم على بيته جرى

وشال أزايز الخمرة وبره

توبى ياعنبر إذكرى الله

قومى ياعنبر وحدى الله»

الندم هو المسافة الواسعة التى تهتاج فيها مشاعر الجماهير ، وتتدفق فيها

الذكرى والخيال فمن منا بلا خطيئة .. الندم بهذه الصورة يشكل مساحة كبيرة للمشاركة الوجدانية فى الفعل الدرامى وفى الصراع المتفجر من الأحداث وتلاحقها . تقول الراوية على لسان حاتم :

أنا بندم على يوم فى شبابى وضيعته

وبندم على يوم فيه الفرض ماركعته

أنا بندم .. أنا بندم

بندم على يوم فى شهر الصوم وفطرته

وبندم على يوم قبلت حرام وأكلته

يارب ياا رب يااا رب

يارب ياا اا يااا رب

ياللى تقبل من المسيئ تبته

أصلح حالى ووجهنى طريق الخير

ماحد جالك قاصد بابك ورجعته»

الندم مرتبط بالتوبة ، والتوبة مرتبطة بما هو دينى غيبى ، يعبر عن أمل الجماهير الطامعة فى الخير والمثل فى تحسين أحوالها والتطهر فى المولد والتوبة والندم بزيارة الأولياء فى صورة الشيخ الذى يأتى فى المنام ويهدد الظالم ويجثم على نفسه إنها بقايا من سلطة بحر الحماية

يتوب حاتم ويأخذ عنبر ويذهب إلى المداح ويزوجها له على بركة الله .

إجوزوا بعضهم الاتنين بحمد الله

عنبر ومداح النبى .. محلا الزمان .. محلاه

الفرحة ويا الهدايا

شئ مايتقدر

وفقنا يارب إلى كل شئ ترضاه

الله... الله ... الله ... الله الله... الله على كل شئ قدير .

هكذا تنتهي قصة عنبر في إطار من الرضا، والرضا هنا عنصر يجتاح المولد حيث يستطيع الفرد التنقل كيفما شاء دون رقيب يكبته، ويتحرر من القيود التي تكبله في بيته وعمله ، ثم هو يتلذذ بالموسيقى الشعبية على إيقاعات الناس والطبلة والرق والصاجات والمزمار والكمان والأكوردبون والطار ويتمايل مع كل منها ويرقص فيتخلص من قيوده كما يتخلص من تقاليد وقيم تكبله ، ثم يتابع الحركة الجنسية داخل الموال لعنبر وجمالها وجمال أمها فيخرق معهما في الوهم والخيال المقدسات ويرتكب المحرمات، ثم أن الذات ترتد من هذا التلذذ لتتعذب وتتألم ويسود الارتياح بعد العذاب والنشوة لعقاب الظالم ، لقد انتصر الآن ولتوه على قوى الظلم والشر واستطاع أن يحصل في الوهم والخيال على مالا يستطيع الحصول عليه في الواقع والحقيقة، ودون مشقة سوى الترحال والوقوع في أسر سلطة المولد، التي سرعان مايعود بعدها الى دائرة الانقهار.

وتصبح عنبر والمداح هي أقصى درجات التمني والمنال لأي جنس من المشاهدين والسامعين وينطلقان من داخل النص/ الموال إلى خارجه في حركة صراع وجدل بين المقدس والمحرم التي تنتهي دائما وأبدا بانتصار المقدس لأنه البداية والنهاية والقادر على كل شيء وهذه المقدرة هي التي تبدأ الحدث وتعيده إلى مجراه بعد الانحراف... المشاهد المنقهر الذي

لاحول ولا قـوة له خارج المولد والـذى تقهره الـعائلة والعـصبيـات ودوائر الحكم المحلى والسلطات العليا الحاكمة ثم سطوة الجنس وسلطة المؤسسات الدينيـة والخرافـات والأساطيـر والجـان الذى يحيط به من كل جـانب .... الراوية فى مـوالها تحـرره من كل هذا وتـيـح له فرص الـتخـيل والتقـمص الوجدانى والتساؤل والجدل والترقب والتشوق والاستمتاع والترفيه وتحريك المكبـوت وإطلاق النفس وانبـعاث الطاقـة وتفـجرها بالانفـعال المشحـون بالعاطفة والمؤجج بالوجدان ثم أنها تتـلاعب به وتضعه فى النهاية أسير كل هذه المؤسسات دفعة واحـدة وهو راض ومسلّم بقضاء الله وقدره منتظر من يخلصـه من غـوائل الانقهـار والفـاقة.. وهـذا المخلّص فى النص الذى هو مـخلّص فى الوهـم والخيـال وهو مخلّص دينـى ينتقم من الظالمين والطغـاة وينتــقل من الموال بسلطة المـولد وسلطة الســيـد البـدوى إلى ذويـهم عند عودتهم إلى قراهم ونجوعهم وأحـيائهم فى المدن، ويرافق الانسان فى حياته المعيشية حتى موته داخلا فـى نسيج فكره وخياله لتكتمل دائرة اجترار المولد وسلطته ويـستمـتع الفرد بالإشـباع الزائف والرضا الكاذب ويـصبح المولد تحريراً مؤقتاً للإنسان والضغوط التى تقع عليه والذى سرعان ماينتهى به هذا الزيف إلى الوقوع فى اسر هذه الضغوط.

المنتوج فى المولد متكامل ومتداخل ومتشعب: إطار شرعى ضد الشرعية السلطوية وثقافة الصفوة يتمثل فى انتـهاك النظام داخل حركة المولد وبيئته ، وانتهـاك المقدس وارتكـاب المحرمات سـواء داخل بيئـة المولد ومحـيطه أو داخل النص فى الموال. ثم هو يأخذ شكل الحركة بالرقص أو بالممارسة ثم هو لغـة بسيطة مـحكية مـقفاة ومـغناة بإيقـاع شعبـى تتفاعـل مع الجماهـير

ونلهب مشـاركتـة وانفعاله ثم هو ارتحـال مقدس يـشبه ارتحـالات صاحب المقام بسلطته وكل ارتحالات الأولياء والقديسين.

ثم أنه ذكـر وعظة وعبـرة يغترفـها المريد من بـحر الحمـاية ويتطهـر بها وينتقم من الظالم بالدعاء عليه وتمنى التـخلص منه أو التخلص منه كما فى نص الموال السـابق الحـديث عنه. وانتظار حـدوث كـرامة صـاحب المقـام وامتـداد سلطته، فتلد العـاقر ويتزوج العانس ويبـرأ المريض ويغتنى الفقـير ويصيـبه الخير ويصـيب الظالم العذاب والهوان... ثم العـودة للوفاء بالنذر ولأن هذه الأشـيــاء لاتحـدث فى الأغلب الأعـم فـالعـودة لأن المراسم والطقوس لم تتم كما ينبغى لها أن تتم وأن خدمة صاحب المقام وأعوانه لم تكن بالقـدر الكافى فيلازم المنقـهرين البـاب طوال حيـاة الروح وبعد ممات الجسـد وفى المنام يرى الرائى أن والده يطالب باستكمـال مسيـرته إلى بحر الحماية وتستمر الدائرة ولايتـوقف الظالم عن ظلمة ولا المقهور عن انقهاره حـتى يمـر من البـاب الأول للدنيـا ويخـرج من البــاب الآخـر وهو راض مـستـسلم رغم انبـخـاس الذات والعجـز والفـشل. فلعل الشىء الثـورى الوحـيــد الذى يفـعلـه ضـد النظام والسلـطة هو ممارسـة كل المحــرمـات والممنوعات على أعـتاب مؤسساتـها وفى شوارعها وحـاراتها... عل ذلك يريحه من عناء التمرد والثورة !!..

التراجع
من السيرة
إلى المولد

تثير المقارنة النقدية بين سيرة عنترة بن شداد وبين سياقات المولد البدوى مصاعب عديدة لاختلاف طبيعة كل منها عن الآخر، فسيرة عنترة انتقلت من الحياة الشفهية حتى أصبحت اليوم حبيسة الكلمات المدونة داخل كتاب السيرة بأجزائه الثمانية، أما المولد فهو حياة تتجدد كل عام على الدوام وتتداخل فيه المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجارية، وهذا فى حد ذاته يخلق مجالا واسعا من الاختلاف بين محتوى نص يكاد يتوقف بعد ممارسته قرون طويلة وعميقة الأثر داخل مجتمعات وشعوب مختلفة ، وخلقته من حياتها وآمالها ويأسها وضعفها وهو انها، هو فى حد ذاته سيرة عنترة بن شداد ويعود للظهور أحياناً ببطء (**أذاعت القناة السادسة المحلية المصرية عدة حلقات للسيرة فى منتصف عام ١٩٩٨**) ، وبين نص حياتى موغلا فى القدم وإن لم يكن مثل السيرة ، وحل محلها فى الشفهية والممارسة وأصبح متجدداً وبشكل يومى - اللهم إلا فى جوهر طقوس بشرية متنقلة منذ عصور سحيقة - هو فى حد ذاته المولد البدوى، إلا أنهما يتفقان فى التعبير عن أنماط ومستويات عليا تهرأ بعضها وانكمشت حدوده وأخذ أشكالا أقل صفاء ونقاء وأكثر وهنا عندما انتقلت من السيرة الى

سياق المولد من خلال الموال الشعبي والذى أخذنا له مثلا موال عنبر . ورغم اختلاف النصين - السيرة والموال - فى البناء من حيث التركيب والتعقيد والتنوع إلا أننا نحاول هنا أن نرصد هذا التدهور الذى أصاب هذه الأنماط العليا والقيم العليا التى يتطلع الإنسان إلى التشبث بها وتساعده على مجابهة الحياة بقسوتها وعنفوانها، وتركز انتباهنا على انهيار بحر الحماية بين السيرة والموال والتحولات التى أصابته والتى يؤثر انهيارها فى عموم المجتمع :

بداية لم يكن عنتر بن شداد هو صاحب الأمر والنهى فى السيرة وإنما هو الأسود المضطهد فى مواقف كثيرة والذى تم التغلب عليه وأسره، وقتله، هو معارض فى الداخل حتى أراد ملك قبيلته قيس قتله وتآمر عليه وأسره وحاول أن يسلمه لأعدائه، وهو مطلوب للثأر منه فى مساحات ممتدة بين شرق العالم وغربه بقواه العظمى الفرس والروم والافرنج، وفى داخل الجزيرة العربية ذاتها، كما أنه يتشاور مع أصحابه عند الغزو وفى المواقف المتأزمة ويحتاج لمساعدتهم ونجدتهم، ورغم أنه الإنسان الأكبر ذو الصفات الجسمية والجنسية والعضوية الفائقة إلا أنه يقع ويندق دقا فى الأرض ويقيد ويجرح ويقتل وتتزوج إمرأته غيره ، وتبكى عليه، إنه يمثل جدل الحياة مع الواقع والجماعة، والمصير الذى يهم الجماعة أن تتابعه وتترسم خطاه وتتعلق به دفعا للنوائب وتتخذ منه بحرا للحماية تغرق فيه نفسها، وهو منذور لتمهيد الأرض للرسالة السماوية منسوب للأسلاف المقدسين ورغم ذلك فإن الجماعة لاتتنازل له فى حالات الشرف والثأر والتعدى وتعارض المصالح الذاتية لأى فرد منها. مات بأهون الطرق برمية سهم خبيثة دون

قتال رغم أنه كثيرا مارمى نفسه فى المهالك مرحبا بشرف الموت وهذه الميتة البسيطة مع ما لاقاه من أهوال الموت فى حياته هى من اللامألوف فى السيرة ثم أنه اعتدى على جماعته ونهب أموالها عندما تحالفت مع أعدائه وهذا فى إطار التحدى الخالص وسيرورته، واعتزل الجماعة أحيانا وخلا بنفسه أحيانا أخرى، إنه الإنسان فى مجابهته للحياة وأحد ملامح الحياة الإنسانية التى لم يستطع القانون السلطوى إبطالها ، أنه ضدها على طول الوقت وإنه يمثل بذلك البطولة والخلاص من العار دون حل إلهى ودون بطل إلهى فالخوارق إنسانية من الدرجة الأولى بل هى حقيقية كما يرى راوى السيرة وناقلها.

وعلى نحو آخر فإن السيد البدوى صاحب المولد وسلطته ، صاحب الأمر والنهى حتى بعد موته ... هو صاحب الكرامات الخارقة ... الميت الحى الذى يكمل الرسالة بحكم الولاية الممتدة من النور المحمدى، وهو ليس مطلوبا للثأر منه ولكنه مقصود وتشد إليه الرحال لأخذ الثأر من الآخرين ببركته وأحيانا بيده الممتدة من مقامه ، إنه القطب والغوث المخلص غير المكروه الذى يزجر الخليفة فيزداد الوالهون به عشقا ويعلو هو على الآخرين ويمثل الحل الإلهى والبطل الإلهى للإنسان عندما يجابه الواقع وإنه المنسب إلى الرسول ... إنه الخارق بقدراته الغرائبية وسلوكه العجائبى الذى ينتصر على كل العقبات وأنه يأسر ولا يؤسر يدافع وينتصر ولايتعدى ولا ينهزم ضد الظلم والقهر يهدف إلى تأكيد العلو الدينى وعلو مافوق الواقع والطبيعة لذا فهو ضرورة للدين والدنيا وتصلح به الأحوال ، على هذين المسارين ومنهما يكون بحر الحماية للسالكين فى طريقته والسائرين

إليه فى مدينته فيستر عوراتهم ونواقصهم وعجزهم ويستوعدونه النصر وهم نائمون فى جحورهم فيتعلقون بالأمل بعد الفشل وبالخلاص بعد الهزيمة فتنداح المشاعر وتلتهب الرغبات فيغرقون فى بحر الحماية تعويضا عن النشاط والحركة والمجابهة ، ثم أنه هو الذى يحمل سمات الشخصية الإسلامية فهو المجاهد ضد الفرنجة والبطل الغوث الذى تجده بجانبك عند الضرورة ثم هو صاحب الولاية ورجل الدين الحق الذى يطبق حكم الدين بطرقه المدهشة فالمعجزة والخوارق فوق الطبيعة الإنسانية لأن البدوى صاحب مدد إلهى..

يتهتك بحر الحماية ويتحول من القوى الدافعية التى يتميز بها الإنسان فى مجابهة الشر داخل السيرة إلى قوى التقوقع والاتكال والحاجة المستمرة إلى مخلِّص داخل الموال...

عنتر مخلِّص إنسانى يذهب إلى حد الموت من خارج السلطة وسلطته التى يمارسها على الجمهور مستمدة من البطولة والرغبة الملحة والمستمرة فى ممارسة الثأر للشرف والكرامة والثورة على السلطة وملاحقة الظالمين بأقصى قدرة إنسانية وأقصى طاقة بشرية، أداته السيف البتار.

وعنتر ينطلق من الحركة وديمومتها من الإيجاب إلى الإيجاب والخروج للآخر من أجل استمرارية هذه الحركة ، والتى تبدأ بالتدرج منذ الطفولة - وتزداد حتى لا يحدها حدود إلا الموت الذى لا يخشاه أبدا .

وعنتر إنسان جمعى موضوعى يبحث عن العدل بالمنطق وإن لم يكن فبالقوة، يعبر عن التمسك بالفكرة الإسلامية ويتغلب على الموت بالأحفاد

والوقـوف قائمـا على فرسـه عندما مـات مـتأثرا برمـية السـهم ولم يدرك أعداؤه أنه قد مـات - كما كان الحال مع النبى سليمـان والجان عند موته - وهكذا أنقـذ قـبيلتـه حـتى فى مـوته إذ سـمح له ذلك بأن تخـشاه الأعـداء ويرهبون تتبع القبيلة، إلى أن وصلت إلى أرضـها سالمة.. وعنتر ينبعث فى الأولاد والأحفاد شكلا وبطولة وسلوكا وحركة ، وهؤلاء يدخلون الإسلام ويستمـر كفاحهم وهذا الانبعاث رغـبة فى استمرار قيم البطولة والـشجاعة ورفض المحرمات والانخضاع لها والاستمرار فى المقاومة والمجابهة ..

أما البطل فى موال عنبر فهو مخلـّـص غيبى يأتى اتصالا بالحلم والغيب ويظهر بالدعـاء بشكل فجائى يسـتمد سلطتـه من سلطة المولد ومن البدوى المخلـّـص ، وسلطته على الجمـهور سلطة مستمدة من الغيب مـستمدة من أشكال التـمتع بحركـات الرقص والتلوى والألـم، ومن الآهات والتـعذب والتشفـى ثم سلطة التقمص الوجدانى بعـيدا عن سلطة المجتمـع ورغبة فى التملك وممارسة المحـرمات وارتكابها حتى يتحـول المولد إلى تجمع منهمك فى ممارسة أمور تتعارض مع حرمة المكان .

المداح والشـــيخ فى المولد أبنـاء للغـيب والمجــهـول يمارســـون الوعظ والإرشــاد ويطلبــون العـون الـنبـوى والإلــهى فى القــضــاء علـى الظلم مســتخـدمين سـيف الغيب مـحاولين تمثل قـوة الأولياء المسـتمـدة من المدد الإلهى ومن القطب الأحمدى. والحركة من الإيجاب إلى السلب والتقوقع داخل الذات من أجل الاسـتقـرار والسكون والإحســاس بالإشبـاع لإنهاء التوتر الداخلى.

القوة الـبدوية تنبـعث فى المدّاح والشيخ ولكنهـما يتـوقفان عـند حدود

الفكرة بالمخلِّص واستمرار الحل الغيبى والاتكال على أبطال يردون غوائل الزمن وقهر السلطة اجتراراً للماضى، فالحركة حركة سلبية تنتظر فى استسلام هذا المخلِّص الذى لايقدم حلا جمعيا ولكن يقدم حلا فردياً قائماً على أسس ميتافيزيقية غير موضوعية. والنتيجة أن الظالم الغنى مستمتعٌ بلذات الحياة وعند توبته يستمتع بلذات الموت بينما يظل الفقير المنتهك واقعا فى أسر الخوف من الظلم والخوف من النار فى الآخرة لذا فهو فى المولد وداخل سرادق الموال يكون قد حقق الحاجة إلى وجود مجتمع كلى يشعر فيه بأنه ذات لها استقلاليتها وفاعليتها ... يمتلكها ويتحكم فيها ولايكون منبوذا، بل قويا ومتغلبا على الصراع القائم بين الوسائل الحياتية المستحدثة والوسائل القديمة التى تخنق رقبته وتكبت رغبته ، فى واقع يفرض سلطة الأقوياء ، فإذا به يفعل مايفعله مئات الآلاف ليس هذا فحسب بل ينال التقدير منهم ، إنها لحظات يرى فيها سلوكه المستقل وقوته وتجاربه الخاصة بعيدا عن أقوياء الواقع وسطوتهم فيشعر بالرضى والخلاص والتحرر فى مواجهة إحساسات الفشل والقلق والخوف تلك التى تحاصره يوميا ! !

الفهرس

المؤلف

أحمد عزت سليم

- مدير تحرير مجلة الرافعي (مجلة ثقافية أدبية) .
- **مؤلفاته :**
  - المقامات "رواية" ، مطبوعات الرافعى
  - ضد هدم التاريخ وموت الكتابة، مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧
  - قراءة المعانى فى بحر التحولات، مركز الحضارة العربية، ١٩٩٨

من قائمة الإصدارات

رواية .. قصة

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد منم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
أنا كنده	كيروجا ترجمة: رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــد	عبده خال
صعبدى صَح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب الجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حملم	يوسف فاخورى

مسرح ..

هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقى الدجانى
اللعبة الأبدية .. (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
ملكة القرود	محمود عبد الحافظ

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولى
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولى
قصائد حب من العراق	البياتى وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطى
من فصول الزمن الردىء	درويش الأسيوطى
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى
إضاءة فى حيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
حواديت لفندى	عصام خميس
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
صلاة المودع	صبرى السيد
دنيـــا تناديـنـا	طارق الزياد
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدى رياض
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسينى
ليالى العنقاء	محمد محسن
غنمة فى حجر صيادها	ناجى شعيب
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لى	نادر ناشد
فى مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد

دراسات ..

العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
غديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
قراءة المعانى فى بحرالتحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادى
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعونية	سليمان الحكيم
البعد الغائب نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
زمن الرواية صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى

تراث ..

العنوان	المؤلف
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
رمضان ـ زمان	د . أحمد الصاوى
القصص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة المدنية لابن المقفع	

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

قراءة المعانى
فى
بحر التحولات

فى هذا الكتاب نقدم دراسة حول السيرة الشعبية الحجازية لعنتر بن شداد كنموذج يتطلع إلى كسر القبول القائم لسلطة الظلم ، وكتعبير عن نموذج أدبى يشجع قيم الشجاعة والنضال ويتغلب على تكرارية الشرعية المؤسسية وينحو نحو الإبداع والمغايرة .

ثم دراسة المولد البدوى كسياق حياتى ضد الثقافة المعلنة وكسياق أدبى تتكسر فيه قيم بحر الحماية والتطلع وتتحول من الإبداع والمجابهة إلى تعزيز قيم الاتباع والانقهار والاستسلام والتلذذ بممارسة المحرمات .

ثم قراءة فى التراجع بين هذه القيم من السيرة إلى المولد .

